مِنْ أنفسكم

أشرف العثماني

مِنْ أَنفُسِكُمْ

أشرف العثماني

كتاب: مِنْ أنفُسِكُمْ

تأليف: أشرف العثماني

تدقيق لغوي: مارية زاهيد

الطبعة الأولى (إليكترونية): نونبر / 2018

بيانات الاتصال بالمؤلف:

البريد: achrafeotmani@gmail.com

الفيس بوك: https://www.facebook.com/achraf.otmani.5

الكتاب متاح للنشر المجاني، لا يجوز بيعه أو الاستفادة منه بأي طريقة ربحية، كما لا يجوز طبعه ورقيا من أي دار نشر دون إذن خطي من مؤلفه.

إلى مَن أعياهُم الانتِظَار.. ومَزقهُم الشَّوق.. وكبَّلهم المَاضِي..

إلى مَن يَبحثونَ عن رُوح تَسكنُ إليْهَا نفوسُهمْ.

هذَا الكتابُ من أجْلِكمْ..

بداية النقاش

فكرتُ يوماً بالزواج، ولأني منذ صغري اعتدت محاورة والدي طرحت عليه الفكرة؛ لكنه لم يتحمّس لها عكس ما كنت أتوقع! ودار بيننا نقاشٌ طويلٌ.. كنا نتوقّفُ عنه لنستأنفه في اليوم التالي، حتى جاوزنا العشرة أيام على تلك الحال!

والواقع أن هذا النقاش كان يستحق كل هذا الوقت؛ فقد كنت أسمع في كل جلسة من أعجب الكلام وأغربه، والأعجب أن نفسي كانت تدعوني للتصديق، وكنت أراني أنصرف عن أفكاري تدريجياً.. مع توالي الجلسات اهتديت لتدوينها كي أراجعها في ما بعد، وهأنذا الآن على وشك تقاسمها مع الجميع..

قد يظن البعض أني كنت محاورا سيئا يسهل إقناعه بأي كلام، لحسن الحظ أني دونت كل ما دار بيننا من أول جلسة..

تفضل، اقرأ واحكم بنفسك..

الجلسة الأولى: الفكرة

لن تنمو البذرة حتى توضع على الأرض وتسقى.. كذلك الفكرة!

الابن: مؤخراً بدأت أفكر في الزواج.

الأب: جيد..

الابن: أراك لم تتحمس للفكرة.

الأب: جميع الناس يتزوجون، لكن قلة من حافظوا على زواجهم.. المحافظة على الزواج أهم من الزواج نفسه..

الابن: معك حق.. أعتقد أنني سأكون زوجاً جيداً.

الأب: اعتقادك لا يغير من واقع الأمر شيئاً.. كثيرون قالوا مثل قولك وكانوا بحماسك نفسه، لكنهم في النهاية فشلوا فشلاً ذريعاً.

الابن: كأنك تنفرني من الزواج!

الأب: بل أحذرك من بدأ تجربة فاشلة.

الابن: كيف تحكم على تجربة ما بالفشل قبل بدأها؟

الأب: ركوب دراجة هوائية بلا مقود تجربة محكومة بالفشل.

الابن: لكن الزواج شيء آخر..

الأب: بل الشيء نفسه، ركوب الدراجة مثل الزواج والسقوط من فوقها كالطلاق.

الابن: ألا يفترض تأجيل الحكم بفشل الزواج إلى حين حدوث الطلاق!؟

الأب: إذًا حصل الطلاق بما يفيدنا الحكم بفشل الزواج؟ العبرة بتفادي الوقوع في الخطأ..

الابن: في أي مرحلة من الزواج يمكننا الحكم بنجاح ذلك الزواج من عدمه؟

الأب: يمكننا الحكم قبل ذلك بكثير.. من اللحظة التي يختار فيها الزوج شريك حياته.

الابن: غريب!! هل يمكن أن توضح هذه النقطة؟

الأب: عندما تكون ركائز الزواج هشة، من الطبيعي أن يكون آيلاً للسقوط، ويمكن لأي مشكل بسيط أن يهدمه.. تماماً كالبنايات الهشة، قد تصمد فترة لكنها ستُعاني من تصدعات قوية، وسينتهي المطاف بسقوطها في النهاية.

الابن: ترى أن اختيار الزوج أهم من الزواج؟

الأب: بالتأكيد.. الرفيق قبل الطريق.. وما أصعبها وأخطرها من مرحلة!

الابن: لماذا وصفتها بالمرحلة الخطِرة؟

الأب: لأن الإنسان يختار فيها شريك حياته، الذي يصبح مُلزماً بتحمله والصبر عليه مهما بدر منه من عيوب ونقائص بعد الزواج.

الابن: ليس ملزما بتحمل نقائص وعيوب شريكه طوال حياته!

الأب: أنت الآن تشير للطلاق.. أليس كذلك؟

الابن: بلى!

الأب: أرأيت، نحن الآن قد عدنا للنقطة صفر.. هذا بالتحديد ما قصدته عندما قلت: أن المحافظة على الزواج أهم من الزواج نفسه..

الابن: أنا حقاً لا أريد خوض تجربة زواج فاشلة.

الأب: إذا يجب عليك أن تكون حذراً.. وأن تخطو الخطوات الصحيحة التي تقود لزواج ناجح.

الابن: وبم تبدأ هذه الخطوات؟

الأب: باختيار الزوج الأنسب.

الابن: وكيف أختار الزوج الأنسب لي؟

الأب: أتعلم!؟ عدد كبير من الناس يسألونني: كيف يمكنهم إصلاح زواجهم؟ أي كيف يجعلون من زواجهم الفاشل زواجاً ناجحاً، وقلة قليلة من يسألوني: كيف يختارون الزوج الذي يبنون معه زواجاً ناجحاً.. الناس الذين يرغبون في إصلاح زواجهم لا يتوقفون عن زيارتي للتظلم وطلب المساعدة كل حين، أما القلة القليلة التي تسأل عن كيفية اخيار الزوج فلا أراهم إلا في غمرة فرحهم بمولود جديد.. لذلك أؤكد دوماً أن اختيار الزوج أهم من الزواج، وهذه تقنية -للأسف- لا يجيدها الكثيرون..

الابن: (تقنية)؟

الأب: أجل.

الابن: ألا ترى أن كثرة الخيارات كفيلة بإتاحة فرصة أكبر لاختيار جيد..؟

الأب: بل العكس، كثرة الاختيارات تسبب الحيرة..

الابن: أعتقد أن معك حق.. إذا ألن تطلعني على هذه (التقنية)، أقصد تقنية الاختيار؟

الأب: ليس الآن.. أنت سألت سؤالًا سينهي نقاشاً مليئاً بالمعرفة، وسلكت الطريق الأكثر اختصاراً..

الابن: أليس هذا جيدا؟

الأب: بالتأكيد، لكن في بعض الأحيان تكون معرفة طريق الوصول أهم من الوصول.

الابن: لا زلت كعادتك ترفض إعطاء المعلومة المجانية.

الأب: النصائح التي بلا ثمن لا تحدِث في النفس أي أثر.. وثمن النصيحة هو السؤال، من لا يسأل لا يستحق النصح.

الابن: لكني سألت!

الأب: وأنا سأساعدك.. حتى تختار شريكة حياتك.

الابن: مهلاً.. مهلاً.. أليس الزواج مسألة شخصية؟

الأب: بلى.

الابن: إذا سأختار الزوجة الأنسب لي بنفسي.

الأب: لا أظن أنك ستوفق..

الابن: سترى.. وسأجبرك هذه المرة على تغيير رأيك.

الأب: لكن لا تنس أن الحوار يصبح عقيماً، إذا انحرف عن مسار المعرفة وصار هدفه هو مجرد الإقناع.

الابن: أعرف كل هذا.. ولسوف تجد نفسك مضطراً لموافقتي.

الأب: حسنا.. أتمنى هذا.. لنا إن شاء الله حديث آخر بعد أن تختار.

الابن: إن شاء الله.

تذكير!

- المحافظة على الزواج أهم من الزواج نفسه.

- يبدأ الزواج الفاشل من لحظة اختيار الزوج.

- يسأل غالب الناس كيف يُصلحون زواجهم، قلة من يسألون كيف يبدؤون زواجاً ناجحاً.

- الزواج الهش كالبناية الهشة، قد تصمد فترة.. لكن سقوطها حتمِيٌّ مهما طال بها الزمن.

الجلسة الثانية: السؤال

قبل أن تنوي السير اسأل نفسك: إلى أين؟

الابن: هل أستطيع أن أكلمك الآن؟

الأب: إذا كان حديثاً موجزاً.

الابن: لم أتمكن من النوم ليلاً.. ظللت أراجع النقاش الذي دار بيننا ليلة أمس.

الأب: وفي النهاية..؟

الابن: أظن أني اخترت الزوجة.

الأب: بهذه السرعة!!؟؟

الابن: في الواقع استقر رأيي عليها منذ حوالي الشهر من الآن.. وليلة أمس وجدت أنها الأنسب لي.

الأب: رأيت هذا في بريق عينيك قبل أن تفاتحني بالموضوع.

الابن: ...

الأب: إذا هل أنت متأكد من اختيارك؟

الابن: نعم.

الأب: هل تعتقد أنك إذا تزوجتها ستكون سعيداً؟

الابن: أظن ذلك.

الأب: ألن تفكر بفراقها يوماً؟

الابن: اخترتها عن قناعة، ولو كنت أريد مفارقتها لما فكرت بالزواج منها أساساً.

الأب: هل تظن أن شباب هذا الزمان يتزوجون بالإكراه أو رغماً عنهم؟

الابن: لا.. الغالبية يتزوجون عن حب وتفاهم.

الأب: تعرف بعض هؤلاء؟

الابن: نعم.. الكثير من الأصدقاء.

الأب: كلهم حظوا بزواج هانئ؟

الابن: لا.. انفصل عدد منهم، للأسف!

الأب: كم عدد الذين حظوا بزواج جيد؟

الابن: قليلون..

الأب: ألم يتزوج الذين انفصلوا عن (حب) -كما وصفتهم-؟

الابن: آآآه.. بلى!!

الأب: ما المشكل؟؟

الابن: حقا لا أعرف..!؟ أمر غريب!

الأب: ما أدراك أنك لن تكون واحداً منهم؟

الابن: كنت أعلم أنك تجرني لهذه النقطة.. يجب أن تعلم أني قبل أن أفاتحك في الموضوع درسته من كافة النواحي كما علمتني من قبل.

الأب: أراك مستعداً لإقناعي هذه المرة.

الابن: لأني أنا مقتنع بقراري..

الأب: سنرى..

الابن: هل نبدأ الآن؟

الأب: لمَ لا تأخذ فترة لتفكر فيها أكثر.

الابن: مهما فكرت لن أغير قراري.

الأب: من خلال تجربتي صرت أعلم أن كل من يكلمني بهذه الثقة يكون مخطأ في النهاية، غالباً ما يكون المحِق متردداً.

الابن: أنا أمامك الآن اختبرني.

الأب: سأفعل بالتأكيد.. لكن ليس الآن.

الابن: ومتى؟

الأب: في الغد.. في التوقيت نفسه، أنا مُصر على أن تأخذ فترة تراجع فيها أوراقك.

الابن: حسناً كما تريد.. موعدنا في الغد.

تذكير!

- هل تعتقد أنك إذا تزوجت الإنسان الذي تفكر فيه ستكون سعيداً؟ ألن تفكر بفراقه في أحد الأيام؟

- زملاؤك فكروا بالطريقة نفسها وفشلوا في زواجهم، بمَ تختلف أنت عنهم؟

- خذ وقتاً إضافياً لتفكر في شريك الحياة الذي تنوي اختياره، مادام الوقت يسمح.

الجلسة الثالثة: الأحاسيس

احذر! قد تعيش وهماً من نسج خيالك، بسبب معطيات زائفة من أحاسيسك.

الابن: ها قد أتت اللحظة المنشودة.. أنا جاهز.

الأب: قلت أن عدداً من أصدقائك تزوجوا عن حب واقتناع، وغالبيتهم لم يحظوا بزواج سعيد كما تمنوا.. ما أدراك أنك لن تكون مثلهم؟

الابن: لأني إنسان مستقل عنهم: بذاتي وإحساسي وتفكيري.. وأنت علمتني أن لا أقيس نفسي بأي شخص مهما كان، كما علمتني أن لا أهتم بتجارب الفاشلين رغم كثرتهم.. لذلك أنا أرى الأمور من زاويتي الخاصة، وأحاول أن أجد لي مكاناً بين الذين نجحوا في زواجهم رغم قلتهم..

الأب: جميل.. الظاهر أنك هيأت نفسك بجد لهذا النقاش كما قلت! لكني متأكد أنك أغفلت بعض الجوانب.. دعنا الآن نكون عمليين أكثر.. شابان (أحبا) بعضهما، وتعاهدا على أن يظلا معاً حتى في أصعب الظروف، ما الذي يجعلهما فجأة لا يطيقان بعضهما؟ سؤال منطقي.. بمَ تفسر هذا؟

الابن: هناك أسباب عديدة..

الأب: منها...

الابن: لا تحضُرني الآن.. لكن هناك أسباب عديدة..

الأب: حسناً، ألن تواجهك أنت إحدى تلك الأسباب؟؟

الابن: قد تواجهني، لكني سأتدبرها بحكمة.

الأب: تظن أنك أفضل مِن مَن وقعوا في الطلاق جميعاً!؟

الابن: لا أقارِن نفسي بأحد.

الأب: أنت الآن تراوغ وتتهرب من الإجابة كعادتك عندما تضعف..

الابن: أبداً.. ما العيب في أني أثق بنفسي ولا أريد أن أقارن نفسي بشخص آخر؟

الأب: حسناً.. ماذا لو سألتك عن المعيار الذي اخترت به تلك الفتاة؟

الابن: عدة معايير..

الأب: منها...

الابن: أعتقد أني.. أني.. أحبها.

الأب: هل تعلم ما الذي تعنيه كلمة (حب)؟

الابن: ومن لا يعلم!؟

الأب: سنأتي لهذه النقطة فيما بعد، لكني الآن سأفترض أنك تعلم.. سبق وأن قلنا أن البناء المتماسك يجب أن يقوم على أساس قوي وثابت.

الابن: هذا من المسلمات..

الأب: على أي أساس بنيت هذا الحب؟

الابن: لم أفهم!

الأب: ما أدراك أنك تحب تلك الفتاة؟

الابن: أشعر بذلك..

الأب: كيف؟

الابن: لا أعرف..! أشعر بانجذاب نحوها.. وإحساسي يقول لي أني أحبها.

الأب: أفهم من كلامك أن توصلت إلى هذا الحب بناءً على إحساسك..؟

الابن: صحيح.

الأب: هل تصدق إحساسك؟

الابن: بالتأكيد فالإحساس مصدره القلب.

الأب: إذن لمجرد إحساس خالط قلبك بنيتَ حبك، وعليه تريد أن تبني زواجك..

الابن: أنت تشعرني كأني أخطأت!

الأب: بالتأكيد، وهذا هو الخطأ نفسه الذي يقع فيه غالب من فشلوا في زواجهم..

الابن: كيف؟ وضح ذلك؟

الأب: الأحاسيس خدّاعة، إضافةً إلى أنها غير ثابتة وتتغير باستمرار.. ألا ترى كيف ينقلب إحساس الحب الذي يجمع زوجين إلى كراهية، مع أن الزوجين لازالا نفسيهما؟

الابن: ألا تصدق أحاسيسك؟

الأب: الأحاسيس التي لا تبنى على أساس موضوعي تكون دوماً خداعة، وتجعل صاحبها يعيش في حلم من نسج خياله، إلى أن يصطدم في النهاية بالواقع.

الابن: إحساسي لا يخطئ.

الأب: هذا عبث وكلام فارغ.. الأحاسيس تتغير باستمرار، كثيراً ما غيرت بضع كلمات إحساسنا رأساً على عقب.

الابن: لست من النوع الذي تهزه الكلمات.. أنا ممن يصعب التأثير في أحاسيسهم بسهولة.

الأب: هل أنت متأكد؟؟

الابن: أؤكد لك!

الأب: أظن أني كنت مخطأ بشأنك.. إذا ما كان علي أن أقارنك بباقي أقرانك.

الابن: ألم أقل لك أني سأجعلك تعترف بأنك مخطئ، ولسوف أثبت لك المزيد مع استمرار النقاش.. لكن قُل لي: لمَ لمْ يكن عليك مقارنتي بأقراني؟

الأب: آه.. آه.. اسمع.. منذ صغرك كنت تمتاز بتفكير مختلف لذلك كنت أحب إلي من باقي أبنائي..

الابن: أنا سعيد جدا بهذا الكلام.

الأب: وفوق ذلك كنت أحيطك باهتمام ومعاملة خاصة.. حتى لا تحس أنك...

الابن: أحس بماذا؟

الأب: أنك ابني بالتبني.

الابن: ماذا؟؟؟

الأب: نعم.. خفت أن أقول لك هذا الكلام حتى لا أجرح مشاعرك؟

الابن: هل أنا ابنك بالتبني؟

الأب: ...

الابن: لا أصدق نفسي! لمَ لم تقل لي هذا الكلام من قبل؟

الأب: ...

الابن: تكلم لم أنت صامت؟ هل هذا الكلام حقيقي؟

الأب: بالطبع أمزح..

الابن: أوه..

الأب: كيف تشعر؟

الابن: دعني ألتقط أنفاسي.

الأب: خذ قليلاً من الماء.

الابن: إنه إحساس رهيب.. أتمنى أن لا تمازحني هكذا مرة أخرى..

الأب: كان لابد من هذه التجربة العملية.. الآن لنعد لنقاشنا الأول، كيف أحسست عندما قلت: أنك أحب أبنائي إلي؟

الابن: كدت أطير سروراً.

الأب: وعندما سمعت الخبر الآخر؟

الابن: أوه.. لا تتحدث عن ذلك أرجوك.

الأب: أرأيت كيف انقلب إحساسك 90 درجة خلال ثوانٍ قليلة جداً؟

الابن: أجل.. أظنك على حق، ربما لا نستطيع التحكم في أحاسيسنا..

الأب: بما أن الأحاسيس خداعة -لأنها دائمة التقلب- لا يمكن أن ندعي حب شخص ما لمجرد أن أحاسيسنا انجذبت إليه.

الابن: لقد أربكت أفكاري.. كيف يمكنني الآن أن أحب أحداً دون أن أستخدم أحاسيسي!؟؟

الأب: لن تلغي أحاسيسك، كل الذي عليك فعله هو التأكد بأن أحاسيسك لا تخدعك.

الابن: وكيف أتأكد أن أحاسيسي لا تخدعني؟

الأب: إذا كنت تتصرف وفق ما تمليه عليك أحاسيسك فأنت حتماً مخدوع، أما إذا كنت توجه أحاسيسك وتضبطها بميزان عقلك فأنت على الطريق الصحيح.

الابن: وكيف أضبط أحاسيسي بميزان عقلي؟

الأب: هذا ما سنناقشه في الغد إن شاء الله.. هل لا زلت متأكداً من اختيارك تلك الفتاة؟

الابن: ومستعد لإقناعك كذلك بهذا الاختيار.. لكني سأعيد التفكير لأجلك.

الأب: فكر فيما دار بيننا هذه الجلسة، وسنعرف الحقيقة في الجلسات القادمة.

تذكير!

- غالب الأزواج الذين اعتقدوا أنهم تزوجوا عن حب، لم يحضوا بزواج جيد..

- لا يمكنك أن تتخذ قراراً كالزواج، بناءً على حب مصدره إحساس خالطَ قلبك في لحظة ما!.

- أحاسيسنا خدّاعة لأنها تتغير باستمرار، وغالباً ما تجعلنا نعيش أحلاماً من نسج خيالنا.

- تكون الأحاسيس صادقة فقط عندما نضبطها بميزان العقل.

الجلسة الرابعة: العقل والقلب والجسد

العقل والقلب خصمان يتصارعان حول سلطة أيهما سيحكم الجسد.

الابن: كنت في انتظارك.

الأب: تأكدت الآن أن هذا الموضوع قد استحوذ على تفكيرك.

الابن: كثيراً..

الأب: ماذا لديك!؟

الابن: لقد أعدت التفكير في...

الأب: لابد أن تكون قد فكرت بعقلك، لا بقلبك.

الابن: ما الفرق؟

الأب: الإنسان يتكون من: عقل وقلب وجسد، وروح علمها عند الله.. العقل وظيفته التفكير، والقلب وظيفته الإحساس، والجسد وظيفته السعي والاحتكاك..

الابن: أيهم أهم؟

الأب: لا أحد فيم أهم من الآخر.. بدون هذه العناصر الثلاث (العقل - القلب - الجسد) ستخسر معركتك في هذه الحياة..

الابن: معركة! إذا افترضنا أننا في معركة، بما تشبه كل عنصر؟

الأب: يمكن القول أن العقل قائد، والقلب وزير، والجسد جيش لا يعصي الأوامر سواء كانت من العقل أو القلب.. والفائز في المعركة هو الذي يعرف لكل عنصر

قدره و وظيفته، فلا يسمح للقلب أن يتدخل في صلاحيات العقل، ولا للعقل أن ينزل منزلة الخاضع لأهواء القلب.

الابن: كيف يخضع العقل لأهواء القلب؟

الأب: عندما يسارع العقل لتلبية أهواء القلب دونما تبصر أو تعقُّل.

الابن: فهمت..

الأب: أعتقد أنك أعدت التفكير بشأن اختيارك لتلك الفتاة، ما كانت النتيجة؟

الابن: لازلت أجدني متعلقاً بها..

الأب: حاول أن لا تستخدم قلبك في التفكير؟

الابن: حاولت.. لكني لم أستطع التمييز بين صوت عقلي وقلبي، ما أنا متأكد منه أني أريدها وكفى.

الأب: أتعلم ما السبب؟

الابن: لا.

الأب: لأن قلبك يسيطر على عقلك..

الابن: لا أظن!

الأب: بلى..

الابن: أثبت لي ذلك.

الأب: تعتقد أنك متعلق بتلك الفتاة؟

الابن: أجل.

الأب: ماذا لو غيرتُ رأيك فيها!

الابن: لا تستطيع..

الأب: غالبية من فشلوا في زواجهم كانت تقودهم أحاسيسهم، وهو الأمر نفسه الذي أراه يتكرر معك.

الابن: تضايقني أحكامك الجاهزة.. ما الذي أدراك أني اخترت تلك الفتاة بناء على أحاسيسي؟؟

الأب: تجربة السنين يا بني.. وسأثبت لك ذلك.

الابن: كيف؟

الأب: سأستفز عقلك ليستعيد مكانه الطبيعي داخلك، ومن ثَمّ سيتكفل هو بالبقية لتنجلي لك الأمور..

الابن: لهذه الدرجة أبدو لك أني أعيش صراعاً داخليا؟

الأب: لا تقلق، لست وحدك، بل نحن جميعاً.. العقل والقلب نِدان أزليان، يتصارعان حول سلطة؛ أيهما سيحكم الجسد.. فإذا كان الحكم للعقل خضع القلب وانقاد، أما إذا تمرد القلب وأحكم قبضته على الجسد استخدم العقل لتبرير هواه وميوله.

الابن: ما دام الأصل أن يحكمنا العقل، لماذا لا يقوم من تلقاء نفسه بإخضاع القلب والجسد لما يراه؟

الأب: العقل حاكم والقلب يسعى للسلطة، ونحن من حيث لا ندري نقوي قلوبنا على حساب عقولنا.

الابن: كيف يحصل هذا؟

الأب: العقل يقوى بالعلم والمعرفة، والقلب بالإيمان والمحبة، والجسد بالتغذية والرياضة.

الابن: وكيف ينمو واحد منهم على حساب الآخر؟

الأب: بسيطة، لنفترض أن لدينا ميزاناً من ثلاثة أكف: في الكفة الأولى لدينا مادة العقل وفي الثانية مادة القلب وفي الثالثة مادة الجسد.. ما الذي سيحدث إذا زودنا كفة العقل؟

الابن: سترجح كفة العقل على كفتي القلب والجسد.

الأب: وإذا أسرفنا في إضافة مادة العقل على حساب مادتي القلب والجسد سنجد أنفسنا أمام عالم كبير، لكن بجسد هزيل وإحساس منعدم.

الابن: هذا حقا طريف! على الأقل سيكون أفضل من إنسان جاهل، ببنية ضخمة وإحساس مرهف.

الأب: على رأيك..! لكن الإفراط عموماً مذموم، الإنسان المتوازن هو الذي لا يسمح لعقله أو قلبه أو جسده أن ينمو على حساب الآخريين.

الابن: إذا ترى أني رجحت كفة القلب لدي!

الأب: نعم في هذه المسألة التي نناقشها، أفترض أنك أضفت القليل لمادة القلب..

الابن: بغض النظر عن كلامك العجيب هذا.. ما الذي حملك على هذا الافتراض؟

الأب: لأنك لا تستطيع التمييز بين صوت عقلك وقلبك كما قلت، وصوت العقل عادة ما يكون واضحاً صريحاً.

الابن: وكيف يمكنني سماع صوت عقلي؟

الأب: عندما تزيل عن عينيك غشاوة الأحاسيس الخداعة التي فرضها عليك القلب، وترى الأمور بعين عقلك.

الابن: كأنك لا تؤمن بوجود شيء اسمه الحب!

الأب: بلى أومن به، لكن ليس كما يؤمن به الكثيرون.. غالبيتنا يعرفون الحب كاسم أكثر مما يعرفونه كمعنى.

الابن: وإذا اجتمع زوجان على أساس الحب.. ألن يكون زواجهما ناجحاً؟

الأب: بلى.. لكن فقط إذا تزوجا على أساس حب، وليكن في علمك أنه لا يوجد زوجين في هذا العالم تزوجا على أساس الحب.

الابن: ألا ترى أنك قد بالغت كثيراً في هذه المسألة!

الأب: ليست هناك أي مبالغة.. المشكل كما قلت لك سابقا أننا نجهل حقيقة الحب كمعنى، وسيتأكد لك هذا في الجلسات القادمة.

الابن: لنفترض أن كلامك صحيح.. ماذا تسمي ذلك الشعور الذي نجده تجاه شخص ما، ذاك الشعور الذي يمزج بين اللذة والشوق والرغبة والأنس.. ذاك الشعور الذي تغنى به الشعراء واكتوى بناره العشاق؟ ما الذي كان واقعاً بهؤلاء في نظرك؟؟

الأب: كانوا واقعين في الحب..

الابن: ... !!

الأب: لكن ليس الحب الذي تحدثنا عنه منذ قليل، أقصد أنهم كانوا واقعين في حب أنفسهم.

الابن: عفواً؟؟

الأب: هذا يعني أنهم كانوا واقعين في حب أنفسهم.

الابن: هذا أغرب كلام سمعته في حياتي!!

الأب: هذه هي الحقيقة..

الابن: هل تستطيع إثبات ذلك؟

الأب: أكيد..

الابن: أنا أنصت..

الأب: لكن وقتنا انتهى..

الابن: أرجوك لا تنهي الجلسة الآن.

الأب: كلما احترمنا وقت الجلسة، كلما صار نقاشنا أكثر تركيزاً.. لا تنس مراجعة قرار اختيارك للفتاة.

تذكير!

- العقل قائد، والقلب وزير، والجسد جيش لا يعصي الأوامر، سواء كانت من العقل أو القلب اللذان يتصارعان حول سلطة أيهما سيحكم الجسد..
- العقل يقوى بالعلم والمعرفة، والقلب بالإيمان والمحبة، والجسد بالتغذية والرياضة.. فاحرص على أن لا ينمو أحدهم على حساب الآخر.
- عندما يسيطر القلب على الجسد يُسخر العقل لتبرير أفعاله.
- غالبيتنا يعرفون الحب كاسم أكثر مما يعرفونه كمعنى.

الجلسة الخامسة: الحب والبُغض

لكل إنسان فضائل ونواقص، لكننا لا نستطيع أن نحب شخصاً ونبغضه في الوقت نفسه!

الابن: أنا جاهز، هيا أثبت لي حب النفس الذي ادعيته بالأمس.

الأب: تريث قليلاً..

الابن: لا أستطيع الصبر أكثر.. منذ نهاية آخر جلسة بيننا لم أستطع التركيز في أي شيء، وكل خوفي من أن يكون كلامك صحيحاً.

الأب: ولم؟

الابن: لأنك تقول أشياء لا يمكن للعقل أن يتقبلها.. لأنه في حال أثبتت صحة ما تدعي -وهذا محال- فهذا يعني أن العالم كان يعيش في وهم اسمه الحب، وتسميه أنت بـ (حب النفس!).

الأب: حسناً.. لكن قل لي أولا هل فكرت فيما إذا كنت قد اخترت تلك الفتاة حقاً عن قناعة؟

الابن: نعم.. ولا أظن أني سأغير رأيي فيها حتى لو طال زواجي بها..

الأب: ما الذي جعلك متأكداً لهذه الدرجة؟

الابن: لأني توصلت أخيراً للجواب الذي طرحتَه علي.

الأب: أيهم؟

الابن: حول السبب في نجاح بعض العلاقات الزوجية وفشل الكثير منها، مع العلم أنهم تزوجوا جميعاً عن حب وتفاهم قبلي..

الأب: وما الذي توصلت إليه؟

الابن: السبب هو في معيار الاختيار الذي استخدموه لاختيار أزواجهم.

الأب: جميل.. كأنك بدأت تقترب من بيت القصيد.

الابن: غالبية الذين يختارون شريك حياتهم يستخدمون معايير مادية ملموسة، كمثل أن يرغب الإنسان في فتاة لمجرد أنها ثرية أو جميلة أو ذات منصب.. والأشياء الملموسة لابد أن تتغير ومحكوم عليها بالزوال طال الزمان أو قصر.

الأب: وما النتيجة التي توصلت إليها في النهاية؟

الابن: يوجد في كل إنسان أشياء ملموسة وأخرى محسوسة (كالمبادئ والقيم والأخلاق...).. إذا أحببنا في شخص ما شيئاً ملموساً فهذا يعني أن ذلك الحب غير حقيقي، لأن الحب نفسه إحساس، وبالتالي فلا يمكن أن يؤتي ثماره إلا إذا وجهناه نحو شيء محسوس في الإنسان، عندها فقط يكون ذلك الحب صادقاً.

الأب: جيد.. جزء من كلام صحيح، لكن البعض يحتاج لإعادة النظر.

الابن: أنا على استعداد أن أثبت لك أن ما قلتُه هو عين الصحة.

الأب: انطلاقا من تفسيرك: أنت تتهم كل الذين فشلوا في زواجهم بأنهم أشخاص ماديون!

الابن: قد يكونون كذلك!

الأب: لا تسرف في إطلاق الأحكام.. لنلخص كلامك أولًا حتى لا نتيه في النقاش: أنت تعتقد أن الحب لا يكون إلا فيما هو محسوس، أما إذا كان فيما هو ملموس فلا يُعدّ حباً.. أليس كذلك؟

الابن: تماما.

الأب: ماذا لو أثبت لك أنك وإن أحببت في شخص ما شيئاً محسوساً، فهذا لا يعني بالضرورة أنك تحبه؟

الابن: لا يمكن! هذا يعني أنك تلغي مفهوم الحب بالمرة.

الأب: دعنا من هذه النقطة الآن.. قل لي: ما الذي أعجبك في تلك الفتاة التي تعلقت بها؟

الابن: أكيد شيء محسوس، لأن الفتاة التي حدثتك عنها ليست من عائلة ثرية فأطمع في مالها، وليست أجمل الفتيات فأفتن بها، ولا أجدني أرغب فيها من أجل تحقيق مصلحة أو امتياز شخصي..

الأب: جيد، هذا يعني أنك أحببت فيها شيئا محسوساً كما قلت.. ما هو هذا الشيء؟

الابن: لا أعرف.. لكن إثبات الضد يعني نفي النقيض، ما دمت أني لم أحب فيها شيئاً ملموساً فهذا يعني أني أحببت فيها شيئاً محسوساً، وهذا هو الأهم.

الأب: لابد أن تعرف ما الشيء الذي أحببته فيها..

الابن: فيم قد يفيد هذا؟

الأب: لتقف أمام نفسك، ولتخضع قلبك لميزان عقلك.

الابن: ممم.. لم أحب فيها شيئاً بعينه.

الأب: لا يمكن.. وهذا بالتحديد هو اللبس الذي يقع فيه غالب الشبان الذين يصعب عليهم التخلص من داء العشق.

الابن: كيف؟

الأب: ليس هناك إنسان مكتمل، الكمال لله وحده، ولكل منا عيوب ونقائص.. والحقيقة الأخرى أنه لا يوجد شخص تحب فيه كل شيء، أو تكره فيه كل شيء.. حتى أشد أعدائك، لابد أن تجد فيهم بعض الصفات التي تستحسناها.

الابن: صحيح.. لكن في بعض الأحيان أحس أني أبغض بعض أعدائي بغضاً مطلقاً، وفي الوقت نفسه أحس أني أحب بعض الأشخاص حباً مطلقاً رغم أني أجد فيهم بعض الأشياء التي أكرهها؟؟

الأب: هذا يعزز ما قلناه سابقاً، بشأن أن الأحاسيس خداعة.. السبب هو أن القلب لا يمكنه أن يحب شخصاً ويكرهه في الوقت نفسه، والذي يحدث أنه يزن إحساسي الحب والكره، وأيهما رجح في النفس غطى على الإحساس الآخر.

الابن: هذا أمر مهم.. هلا ضربت لي مثالًا.

الأب: حسنا.. سأضرب لك مثالا بقصة قصيرة وبسيطة، أريدك أن تتأملها جيداً: (كان هناك طفل يحب مادة اللغة العربية ويكره شاربي الخمر.. درس يوما عند أستاذ لغة جيد لكنه يشرب الخمر، مع ذلك تعلق الطفل بالأستاذ وأحبَّه.. وفي يوم حصل شجار بين والد الطفل وأستاذه وانتهى بكسر يد والد الطفل وإصابته بجروح بليغة، فصار الطفل يكره أستاذه وينعته بالسكير..)

الابن: قصة ملتوية لكن بليغة.

الأب: الآن نأتي للتفصيل، في نظرك لماذا أحب الطفل مُدرس اللغة مع أنه سكير، وهو يكره شاربي الخمر؟

الابن: لأن حبه للغة كان أكبر من كرهه للخمر.

الأب: جيد.. هذا يعني أن إحساس الحب رجح في نفس الطفل، لذلك أحب الأستاذ رغم أنه سكير، لكن لماذا صار يبغض الأستاذ نفسه في الأخير؟

الابن: يمكن القول إن حبه لوالده كان أكبر من حبه للغة..!

الأب: أو بعبارة أخرى: لأن بغض الطفل لتصرف الأستاذ كان أكبر من حبه للغة.

الابن: صحيح يمكنني ملاحظة أن البغض والحب لا يمكن أن يجتمعا.

الأب: ما الذي أعجبك في تلك الفتاة إذا؟

الابن: لأول مرة أقف عند هذا السؤال!

الأب: لابد أن يُجيب عن هذا السؤال كل من اعتقد أنه واقع في الحب، ليتمكن من فهم سلوكه وتفسير إحساسه، وليتبن له ما إذا كان ذاك حباً صادقاً أم مجرد تلبيس.. إذن ما جوابك؟

الابن: لازلت محتاراً..

الأب: دعني أساعدك.. هل كنت لتحب كل فتاة تصادفها في الطريق؟

الابن: بالطبع لا.

الأب: إذا ما الذي أحببته فيها؟ لابد أن فيها خصلة ميزتها عن غيرها..

الابن: فهمت الآن.. معك حق..

الأب: على العموم أوشك وقت جلستنا الانتهاء.. حتى موعد الجلسة التالية سيكون لك الوقت الكافي لتجد الإجابة.

تذكير!

- لا يوجد شخص تكره فيه كل شيء.. حتى أشد أعدائك، لابد أن تجد فيهم بعض الصفات التي تستحسناها.

- القلب لا يفكر ولا يستطيع التمييز، عندما يجتمع لديه إحساس البغض والمحبة يعمم الإحساس الراجح على حساب المرجوح.

- الإجابة على سؤال: لماذا أحببت هذا الشخص؟ يساعد على تفكيك شفرة إحساسك.

الجلسة السادسة: حب النفس

ماذا لو اكتشفت أن حبك لبعض الأشخاص لم يكن إلا انعكاساً لحبك لنفسك!

الأب: أراك أتيت قبل موعد الجلسة وفي كل جلسة تأتي قبل الجلسة التي قبلها!

الابن: يداهمنا الوقت سريعاً وتنتهي الجلسة ودماغي يغلي بالأسئلة، وأنت ترفض أن تفاتحني في هذا الموضوع في غير هذا الوقت بالذات حتى ولو كنت متفرغاً أغلب أوقات اليوم، إذن لا حل لي سوى استغلال هذه الجلسات ما أمكن.

الأب: لكن من المفترض أن لديك عملاً في هذا الوقت!

الابن: أنا في إجازة.

الأب: من حسن حظك!

الابن: إذا لو سمحت هلا دخلت في صلب الموضوع.

الأب: حسنا كما تريد.. ما الأخبار؟ هل وجدت الشيء الذي يعجبك في تلك الفتاة؟؟

الابن: نعم، اهتديت إلى الجواب مباشرة بعدما انتهى حوارنا أمس.. كما قلت لك تعجبني فيها عدة أشياء، وكلها تدخل في إطار ما هو محسوس.

الأب: أنا أسمع..

الابن: تعرفت على تلك الفتاة في جمعية رعاية الأيتام، شدني إليها رفقها وعطفها على الأطفال، كانت تعاملهم كما لو أنها والدتهم، شيء جميل أن تكون الفتاة بهذه

الرقة.. وأعجبتني كذلك ثقافتها واهتمامها الكبير بالقراءة وبعالم الكتب، إضافة إلى طبعها البسيط وحسن خلقها...

الأب: أنت الآن تسير في الطريق الصحيحة..

الابن: ما رأيك؟

الأب: كما كنت أتوقع.. أهنئك، أنت واقع في الحب.

الابن: صحيح!؟ لكن أي حب تقصد؟

الأب: قصدت أنك واقع في حب نفسك.

الابن: بالله عليك.. كف عن قول أي كلام.. لقد سبق وقلت لي هذا لكني لم أفهم بعد ما الذي تعنيه.

الأب: الحقيقة أنك تحب الخصال التي تتميز بها تلك الفتاة، وليس الفتاة نفسها..

الابن: غريب! أفهم من كلامك أنه إذا كان عليَّ أن أحب الفتاة لنفسها علي أن أحب شكل وجهها وجسدها؟

الأب: القصد أنك أحببت فيها ما تحبه أنت في نفسك بالضرورة.

الابن: هذا غير صحيح!!!

الأب: بل هو عين الصحة..

الابن: أثبت لي ذلك.

الأب: تخيل أن هذه الخصال التي ذكرتها في تلك الفتاة انعدمت فجأة، جميعها، مثلا: أصبحت فظة في تعاملها مع الأيتام.. ولم تعد لها أي ثقافة، حتى صار من العصب تمييزها بين دهماء الناس.. وتغير سلوكها، وساء خلقها.. هل ستجد في نفسك هذا الإحساس الذي تجده تجاهها الآن؟

الابن: ممم..! لا أستطيع أن تخيلها كما وصفتها..

الأب: حاول.. هل كنت لتتعلق بفتاة فظة، جاهلة، سيئة الخلق..

الابن: لا أظن.

الأب: هذا يعني أن الخصال التي أعجبتك في الفتاة إذا زالت سيزول تعلقك بالفتاة، وستبهت تلك الصورة الجميلة التي رسمتها عنها في ذهنك.. مع أن الفتاة لا تزال نفسها..

الابن: أرجوك تريث قليلاً.. لقد شوشت ذهني كلياً..

الأب: هذه هي الحقيقة، أنت لا تحب تلك الفتاة بقدر ما تحب الخصال التي تمتاز بها.. بمعنى آخر أنت تحب رؤية انعكاس لميولك ورغباتك فيها.

الابن: ماذا تقصد؟

الأب: قلتَ أن من بين ما أعجبك في تلك الفتاة هو حبها للأيتام كما لو كانت والدتهم.. أنسيت أنك أحد مؤسسي تلك الجمعية؟ أي أنك قد سبقتها لحب الأيتام؟ إذن أحببت رؤية انعكاس حبك للأيتام فيها. وقلت أيضاً أنك أعْجبت بثقافتها وقراءتها للكتب، وهذا أيضا يعكس حبك أنت للكتب.

الابن: ما الذي تحاول قوله؟

الأب: طبيعي إذا وجدنا شخصاً يتقاسم معنا الميول نفسها أن نحبه ونتعلق به، سواء كان ذكرا أو أنثى..

الابن: لكن لمَ لمْ أغرم بعدد كبير من الفتيات الأخريات الذين أتقاسم معهن حب الأيتام نفسه؟

الأب: لأن الفتاة التي تعلقت بها تتقاسم معك أكثر مما يتقاسمه معك الأخريات، تحبان الأيتام وشغوفان بالقراءة.. وقلت أنها حسنة الخلق وأنا أعلم أنك أيضا تكره سوء الخلق.. إذا!؟

الابن: لا أعرف!! لازلت لم أقتنع بمسألة حب النفس هذه..

الأب: كيف؟ وأنت لم تحب في تلك الفتاة إلا ما تحبه أنت في نفسك.

الابن: لم أكن أعتقد أني بهذه الأنانية!

الأب: في الواقع هي تبدو أنانية، لكنها أمر طبيعي والناس درجوا على التعامل بهذا المنطق دون أن يشعروا.

الابن: إذن لا ينطبق هذا الأمر علي وحدي؟

الأب: لا، بل على الجميع، وحتى لا أكون مبالغا 90% من الذين يدَّعون حب بعض الأشخاص، هم في الواقع لا يحبون سوى أنفسهم.. ما يجذبنا للآخرين هو انعكاس ما نحب على فيهم، ما يشعرنا أنهم امتداد لدواتهم أو جزء منها.

الابن: حب النفس هذا.. هل يعتبر حبا صادقا؟

الأب: بالتأكيد، وهو المثال الأكثر واقعية لمعنى الحب الحقيقي.. لو أننا لا نحب أنفسنا لضاقت بنا الأرض و لأصبحت الحياة بلا معنى. الانتحار في الغالب يكون دليلا على كره النفس.

الابن: غريب حقا شأن هذه النفس!

الأب: صحيح.. ولا تعجب إذَا قلت لك إن كل ما نفعله في هذه الحياة هو من أجل إرضاء أنفسنا بالدرجة الأولى.

الابن: كل ما نفعله!؟

الأب: كل ما نفعله..

الابن: حتى العبادة؟

الأب: حتى العبادة.. أليس من موجبات حب النفس أن تريد لها الجنة وتخاف عليها من النار؟ (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه..)

الابن: أعطني أمثلة أكثر على حب النفس.. هذا أغرب وأعجب كلام أسمعه في حياتي.

الأب: الأمثلة كثيرة: فالذي يحب شخصا متدينا هذا يعني أنه هو يحب الدين والتدين، والذي يحب شخصا لطيفا مهذبا هذا يعني أنه هو يحب اللطف والرقة.. حتى أن بعض الفتيات لضُعفهن يَرغبن في الزواج من الرجل القوي، ليضمنَّ حماية أنفسهن التي يحببنها، أو يرغبن في الرجل الغني ليسعدن أنفسهن...

الابن: هذا يعني أن الزوج الذي يقول: (أنا أحب زوجتي..) يعني في الواقع أنه يحب في زوجته بعض الخصال التي يحبها هو..

الأب: صحيح، ولأن الخصال التي يحبها في زوجته أكبر من الخصال التي يبغضها فيها، فإن عقله يرجح حكم الحب، فيرى أنه يحب زوجته.. ولو كان واقعيا لقال أحب في زوجتي كذا وكذا..

الابن: لكن مادمنا لا نحب إلا أنفسنا لماذا نعاني من آلام العشق وفراق؟

الأب: السبب الرئيس أن غالبيتنا لا يعلمون بمسألة حب النفس التي تحدثنا عنها، والذي يحدث أنهم يخلطون بين الخصال التي يحبونها وبين الأشخاص الذين يمتازون بتلك الخصال.. فيلصقون خصلة يحبونها بشخص معين، ليجعلوا منه - دون أن يشعروا- جزءاً من ذواتهم التي يحبونها.. لذلك يكون الفراق صعبا ويحس المحب أو العاشق كما لو أنه فقد جزءاً منه بتركه ذلك الشخص. وفي ما يلي إن شاء الله من الجلسات قد نتوسع في هذه النقطة.

الابن: هل يمكنك الآن أن تحكم إن كانت تلك الفتاة التي حدثتُك عنها تصلح لي كزوجة؟

الأب: لست أنا من سيحكم.. بل أنت.

الابن: هل يمكنني الآن أن أقرر إن كانت تلك الفتاة تصلح لي أم لا؟

الأب: ليس الآن.. ستحكم في نهاية آخر جلسة من هذا النقاش، وأظن أنك في الجلسة قد تحسم رأيك.

الابن: تشعرني بالحماس والارتباك في الوقت نفسه.

تذكير!

- لا نحب الأشخاص بذواتهم، ولكن نحب رؤية انعكاس ما نحب فيهم.

- كل ما نفعله في هذه الحياة هو بالدرجة الأولى من أجل أنفسنا، حتى العبادة.

- لا يمكنك أن تحب شخصا تتقاطع معه في كل شيء.

- تخيل لو انقلبت كل الخصال التي أحببتها في الحبيب إلى النقيض، هل كنت لتواصل حبه؟

- عندما نحب شخصاً، نحب فيه بعض الخصال، ولأن تلك الخصال أكبر من الخصال التي نكرهها فيه، نرجح أننا نحبه..

الجلسة السابعة: الدافع والرغبة

وراء كل رغبة دافع، فابحث عن دوافعك لتفسر رغباتك.

الأب: تذكرُ أننا قلنا بأن الزواج الناجح يبدأ باختيار الزوجة.

الابن: نعم.

الأب: وقلنا أن الناس عند اختيار أزواجهم يستندون إلى عدة معايير..

الابن: منها ما هو ملموس ومنها ما هو محسوس.

الأب: صحيح.. الآن إن شاء الله سنجيب عن السؤال الذي طرحناه في أول نقاش ولم نجب عنه، السؤال المتعلق بأسباب الطلاق.. أريدك أن تنتبه لما سأقوله جيدا، لأن الجواب سيكون مختصرا و مركزا.

الابن: كلي آذان صاغية.

الأب: كل زوج يختار زوجه على أساس خصلة معينة أعجبته فيه، يكون زواجه -في الغالب- محكوما بالفشل.. لسببين أساسيين.

الابن: أول هذه الأسباب..

الأب: الناس يفهمون بالأمثلة لذلك سأسوق لك السبب الأول على شكل قصة:

(أعجبت فتاة بشاب وسيم وقوي، هذين الخصلتين دفعتها لقبول على الزواج منه.. في يوم تعرض ذاك الزوج لحادث سير بسيارته، ونجا من الموت بأعجوبة، لكن بشلل نصفي و وجه مشوه..) كيف تتوقع أن يكون زواج الفتاة بعد الحادث؟

الابن: تقصد أن أي فتاة تزوجت شابا لجماله وقوته، ستطلب منه الطلاق إذا تعرض لحادث؟

الأب: لن تطلب منه الطلاق في تلك اللحظة، لكن رغبتها فيه ستبهت مع مرور الوقت، لأن الدافع الذي جعلها توافق على ذلك الزواج زال، وبالتالي ستزول معه الرغبة تدريجيا..

الابن: لكن هذا الذي قلته لا يفسر جميع حالات الطلاق؟؟

الأب: لا يمكنك تفسير حالات الطلاق انطلاقا من السبب الذي أتى على إثره الطلاق، لأن هذه الأسباب تكون في الغالب تافهة.. ما يعني أن لحظة الطلاق هي تحصيل حاصل لزواج فاشل.. متى سمعت أن زوجين متفاهمين انفصلا فجأة؟ لابد أن يسبق الانفصال فترة توتر وصراع وجدال..

الابن: قد أتفق معك في هذه النقطة، حتى أني سمعت أن بعض الأزواج لا يستطيعون تفسير لم أضحت المشاكل تنهال عليهم!؟ أو لم كل طرف يختلق المشاكل ويضخهما؟

الأب: لأنهم لا يعرفون كيف تفكر عقولهم ولا كيف تعمل أحاسيسهم.. وللأسف، عندما يصلون لهذه المرحلة التي وصفتَها، يكون زواجهم بالفعل في طور الهدم، وعاجلا أو آجلا سينتهي بالطلاق في أفضل الأحوال.

الابن: أنت في هذه الأثناء تربكني، وتعلم أني أفكر في الزواج..

الأب: لا تقلق، إذا عُرف السبب بطل العجب.

الابن: إذا ما السبب؟؟

الأب: دعني أرجع بك للمثال السابق، إذا زال الدافع الذي حرك رغبة الفتاة في قبول الزواج من ذاك الشاب، ستزول رغبتها في الزوج نفسه -كل هذا يحصل دون وعي الفتاة، وبدون قصد منها- وإذا زالت رغبة الفتاة في زوجها ستكثر

المشاكل بشكل ملحوظ، وستضطرب علاقتهما، في حين ستصبح الأجواء ممهدة للطلاق، يكفي فقط حدوث مشكل صغير.. وإذا سألتهما بعد ذلك عن سبب الطلاق سيحيلانك على آخر مشكل تافه أتى الطلاق على شرفه، أو سيبرران بأن حياتهما صارت لا تطاق، وكل منهما سيكيل اللوم للآخر.. هذا خلاصة ما يحدث.

الابن: لماذا ربطت زوال رغبة الفتاة بزوجها ببدء المشاكل؟

الأب: لأنه لا يمكن لأي إنسان أن يضحي في سبيل شيء فقد قيمته أو زالت رغبته فيه.

الابن: أثناء حديثك أشرت فقط للفتاة: (إذا رَغبت.. إذا زالت رغبتها..) لم تتحدث عن الزوج، ألا يؤثر بدوره في الزواج سواء بالسلب أو إيجاب؟

الأب: معك حق، يمكن لأحد الأزواج المحافظة على الزواج أو تدميره. أما فيما يخص المحافظة على الزواج من شخص واحد فهو يحتاج لخبرة لا يتوفر عليها أغلبنا ولا تدرس في الأكاديميات، قد نتطرق إليها إذا قدر الله.. إذا لم يبق لنا سوى مقدرة شخص واحد على تدمير الزواج، وهو أمر سهل بطبيعة الحال.

الابن: ما الذي سيمنعي من الحفاظ على زواجي؟

الأب: أحيانا يكون الزوج نفسه.. من خلال بعض تصرفاته أو استفزازاته..

الابن: يمكنني تجاهل كل ذلك والتغاضي عنه.

الأب: الطبيعي أن لكل فعل ردة فعل.. مهما كنت أنت صبورا وحليما، في يوم ما وفي ساعة ما، ستُبادل الآخر صراخه وسترد على شتائمه.. لأن الطباع معدية.

الابن: شوقتني لمعرفة كيفية المحافظة على الزواج من جهة واحدة، هلا حدثتني قليلا بهذا الشأن..

الأب: الموضوع طويل.. لكن حسبك منه أن تعرف جوهره: عندما يرغب الإنسان في فعل شيء ما، ينفتح ذهنه على سماء الممكنات.. وعندما ينفر من شيء ما يجد نفسه أمام جبال تناطح السحاب من المشاكل والمعيقات.

الابن: فهمت..

الأب: وبالرجوع لموضوعنا، يمكن أن نلخص القول في أنه إذا زال دافع الزواج يصبح رضى الزوج أو سخطه سيان، لا يشكلان أي فارق.

الابن: طيلة حديثك تحاول أن تربط الدافع بالرغبة!

الأب: صحيح.. إذا زال الدافع زالت الرغبة.. الإنسان عموما تحركه في هذه الحياة دوافع، فالرغبة في الأكل تأتي بدافع الجوع، والرغبة في العمل تأتي بدافع الحاجة للمال... لو أن الله رزقنا بدون عمل لما غادرنا بيوتنا، ولما سعينا في الأرض، وهذا من حكم الله سبحانه لنسعى في الأرض ولنَعمرها كما أراد.

الابن: ليس لكل رغباتنا دافع.. مثلا رغبتنا في التعلم!

الأب: رغبتنا في التعلم تأتي نتيجة عدة دوافع تختلف من شخص لآخر.. قد يكون دافع التعلم هو الجهل، أو العمل، أو السمعة، أو المعرفة... كل شيء نفعله وراءه دافع. حتى عبادتنا لله، نعبد الله ونتقرب له بدافع حاجتنا له وخوفنا منه.. مادامت هناك رغبة فورائها دافع بالتأكيد.

الابن: لأول مرة أرى الأمور من هذه الزاوية.. تظن أنه لا يوجد شيء نفعله لذاته؟

الأب: دلني عليه..

الابن: حقيقة لا يحضرني أي مثال في هذه اللحظة.. لكن بعودتنا لموضوع الزواج، كانت لدي ملاحظة هامة..

الأب: أنا أسمع.

الابن: أثناء الزواج قد نكتشف في الزوج أشياء أخرى جميلة غير تلك التي رغَّبتنا فيه أول مرة. أليس كذلك؟

الأب: صحيح، يحدث هذا أحيانا، لكن ما يبنى على أساسه الزواج في الأول هو الأصل..

الابن: إذن السبب الرئيس في الطلاق هو زوال الرغبة التي كانت دافعا في الزواج، وأعطيت مثالا بالشاب الوسيم القوي الذي تعرض لحادث.

الأب: هذا مثال على سبيل الاستئناس لا الحصر، أعطيك مثالا آخر.. تزوج شاب فتاة ثرية، أمضيا أياما سعيدة مع بعضهما، مع مرور الوقت فقدت الفتاة ثروتها، فزالت رغبة الشاب فيها، كثرت المشاكل وساءت علاقتهما ثم انتهت بالطلاق..!

الابن: لأن هذا الزواج كان في الأساس مبنيا على المصلحة.. على العموم نحن مبدئيا متفقان، التعلق بالأشياء الملموسة في الزوج كـ (الجمال، القوة، المال، السلطة، الشهرة...) دوما ينتهي بمشاكل، وهذا نفسه كان رأيي السابق.. لذلك لم أحب في الفتاة التي حدثتك عنها أي شيء ملموس.

الأب: لا تستعجل، لم نتفق بعد، الأمران سيان، الأشياء المحسوسة كما الملموسة.. إذا زال الدافع زالت الرغبة.

الابن: هذا أمر خطير!

الأب: لكنه صائب..

الابن: كيف؟ وضح!

الأب: حسنا.. كم بقي من وقتنا؟

الابن: ليس الكثير.. لا تقل أنك تود إنهاء النقاش عند هذا الحد؟

الأب: النقاش الطويل غير صحي، وغالبا ما يستحيل ثرثرة جوفاء..

الابن: لكن...

الأب: تذكر: إذا زال الدافع زالت الرغبة.. فكر أكثر في القرار الذي اتخذته بشأن رغبتك في الزواج من تلك الفتاة.. إلى الملتقى.

تذكير!

- كل من يختار زوجه على أساس خصلة معينة أعجبته فيه، يكون زواجه -في الغالب- محكوما بالفشل..

- عندما يرغب الإنسان في شيء ما، ينفتح ذهنه على سماء الممكنات.. وعندما ينفر من شيء ما يجد نفسه أمام جبال تناطح السحاب من المشاكل والمعيقات.

- إذا زال دافع الزواج زالت الرغبة في الزوج، حينها تكثر المشاكل بشكل ملحوظ، ويصبح رضى الزوج وسخطه سيان، آنذاك يمكن لأتفه سبب أن يأتي بالطلاق.

- لا تظن أنك حققت إنجازا بوضعك حدا للزواج، الجميع يقدرون على فعل ذلك، لكن قلة من يستطيعون المحافظة عليه!

الجلسة الثامنة: الطلاق

لا يمكنك توقع الأمور السيئة، دوما هناك أمور أسوء.

الابن: وقفنا عند نقطة إذا زال الدافع زالت الرغبة.

الأب: يبدو أنك تريد استغلال الوقت ما أمكن.

الابن: أرجوك.. لا تدمج هذا النقاش الجانبي في الوقت الذي نخصصه لنقاشنا.

الأب: هذا من إيجابيات ضبط الوقت.. حسنٌ.. فلنبدأ على بركة الله.

الابن: اتفقنا على أن الأشياء الملموسة الذي ترغبنا في الزوج إذا زالت تزول الرغبة في الزوج بالتدريج.. لكنك أضفت أن الخصال المحسوسة تعني الشيء نفسه.

الأب: تماما.

الابن: تفضل، وضح ذلك..

الأب: صفة الصدق، من الأشياء المحسوسة؟

الأبن: نعم.

الأب: قد يكون صدق الشاب عاملا أساسا لقبول فتاة ما الزواج منه.

الابن: ممكن..

الأب: افترض أن هذه الفتاة -بعد الزواج- اكتشفت أن زوجها يكذب عليها.

الابن: ...

الأب: ألا تظن أن علاقتهما ستهتز؟

الابن: لكن الأشياء المحسوسة مرتبطة بمبادئ الإنسان، هل تعتقد أن المبادئ تتغير؟

الأب: المبادئ تبنى على أفكار، والأفكار تبنى على قناعات، والقناعات تتغير.

الابن: يمكن أن تضرب مثالا..

الأب: اليوم رفض موظف أن يأخذ الرشوة، لأنه لا يريد أن المساهمة في إفساد المجتمع.. في الغد قرر الموظف نفسه أن يأخذ الرشوة، لأنه صار يرى أن المجتمع فاسد أصلا، وأن امتناعه عن أخذ الرشوة لن يغير على أرض الواقع أي شيء!

الابن: هذا حقا غريب! لكن لم هذه الازدواجية في سلوك البعض؟

الأب: يقف خلف سلوك الإنسان إحساس، وخلف الإحساس قناعة.. مُشرك يقاتل المسلمين بحقد، فجأة أسلم، فصار يحارب عشيرته بضراوة نصرة للإسلام!

الابن: سبحان الله!

الأب: إذن، قد يحدث الطلاق بسبب زوال الخصال التي كانت دافعا لقبول الزواج، وقد تكون هذه الخصال أشياء ملموسة (كالمال والجمال..) أو محسوسة (كزوال بعض الشيم نتيجة تغيير قناعة الزوج..)

الابن: ماذا لو لم يُغير الأزواج أيا من خصالهم، وكانوا متأكدين من عدم تغير أفكار الشريك في المستقبل؟

الأب: لا يمكن لأي منا أن يضمن عدم تغيير مبادئه في المستقبل، فضلا عن ضمان عدم تغيير مبادئ وأفكار الآخر!

الابن: معك حق.. كأن الإحباط بدأ يدب في نفسي!

الأب: بهذه السرعة!؟ للتو انتهينا من أول أسباب الطلاق!

الابن: بت أشك كيف أمكنك الزواج بهذه الأفكار..!

الأب: ألا تنتظر حتى ينتهي النقاش.. كنت أظنك ستصمد أكثر من هذا!

الابن: لم أرفع الراية البيضاء بعد، هات السبب الثاني..

الأب: السبب الثاني تتمة للأول، حتى في حال عدم تغير خصال الزوج الحميدة، قد تظهر فيه -بعد الزواج- بعض العيوب التي قد تنفر منه، وهذا ما لا يمكن التنبؤ به قبل الزواج.

الابن: فترة الخطوبة هي فرصة لاكتشاف ودراسة الزوج من كل النواحي.

الأب: هذا غير مجد، عندما يتعلق الإنسان بشخص ما ينصب تركيزه فقط على الجوانب المضيئة فيه.

الابن: لكن كيف؟ الإنسان مليء بالعيوب، لا يوجد إنسان مكتمل، لابد من وجود عيوب.. ما دام الإنسان قد وجد في شريك حياته الصفات التي يحب لا عذر له في اختلاق أي أعذار لطلب الطلاق، مهما كانت عيوب الشريك لابد أن يستحمله مادام قد اختاره في الأول..

الأب: الحالة التي أقصد هي وجود عيوب في الزوج أكبر من الخصال الحميدة التي يمتاز بها..

الابن: اعط مثالا..

الأب: ما أقوله لك هو خلاصة قصص عديدة عاينتها بنفسي.. سأحكي لك قصة ثم سأطلب رأيك: (خطب (ميمونة) شاب لطيف، تعرفت عليه أكثر في فترة الخطوبة، فوجدته شخصا كريما و ودودا خفيف الدم، وهذه هي الصفات نفسها التي تمنتها في زوج أحلامها.. لم يغير الشاب بعد الزواج أيا من خصاله التي أحبتها فيه ميمونة، إضافة إلى أنه لم يسئ لها يوماً ولو بكلمة.. لكنها اكتشفت أن

له علاقات عديدة بفتيات أخريات، وأنه لا يغار عليها.. تقول الفتاة شاكية زوجها: حياتي صارت جحيما!)

الابن: هذا مؤسف.

الأب: لو أنك مكان هذه الفتاة هل كنت ستطلب الطلاق؟

الابن: أنا.. نعم.. بالتأكيد من يخون زوجته ولا يغار عليها لا يصلح للزواج.

الأب: لكن الصفات التي أحبتها فيه أول مرة لازالت كما هي..! و هو لم يخدعها.

الابن: لم تكن تعلم أن لديه علاقات أخرى وأنه لا يغار على زوجته.

الأب: الخيانة والغيرة برأي الفتاة مسألة أكبر من أي شيء آخر..

الابن: هي محقة.

الأب: ما دامت هذه الأمور هامة لها، ألم يكن الأولى أن تبحث عن رجل مخلص يغار عليها بدل أن تبحث عن شاب غني مَرح...!؟

الابن: إذا يجب أن نبحث عن زوج مخلص وغيور؟

الأب: ليس بالضرورة، قد تتزوج فتاة ما برجل مخلص وغيور ثم تكتشف أنه سكير وعصبي المزاج.

الابن: هذا يعني أنه لا يمكن التنبؤ بما قد يحدث بعد الزواج..!

الأب: هذا صحيح.

الابن: إذا ما الحل؟

الأب: أن تحسن الاختيار.. مادمتَ تظن أنك قادر على لاختيار.

الابن: أعرف إلى ما تلمح.. ما الذي قد أكتشفه في تلك الفتاة التي حدثتك عنها؟

الأب: لا يمكن التوقع بالأمور السيئة، دوما هناك أسوأ.. سبق وقلت لي أنك تود أن تعلم أبناءك القرآن..

الابن: صحيح..

الأب: ما أدراك أنها ستُنجب لك أصلا؟

الابن: لقد أربكتني حقا..!!

الأب: هل لا زلت تعتقد أنك قد أحسنت اختيارها؟

الابن: حتى لو غيرت رأيي فيها كيف يمكنني أن أجد الفتاة التي ستنجب لي..

الأب: الجواب أنك لا تستطيع، أو قد تجدها لكن مع خصال تكرهها أكبر من ميزة إنجابها.

الابن: كأنك تقودني للجنون.. لا أعرف ما الذي تريد الوصول إليه!؟

الأب: إلى حقيقة أنك لا تحسن الاختيار، لست أنت وحدك.. بل نحن جميعا.

الابن: ما المطلوب مني الآن؟

الأب: أن تؤكد رأيك السابق حول أنك قد أحسنت اختيار الفتاة.

الابن: حسنا أعترف أنك أقنعتني.. كيف أختار إذا؟

الأب: سنؤجل الإجابة للجلسة القادمة.. كأني أجد حماستك قد انطفأت فجأة!

الابن: هذه أول مرة أشعر بإعياء شديد وبرغبة في إنهاء الجلسة، أحتاج فترة لأستسيغ ما دار بيننا..

الأب: أرى خلفك ليلا طويلا..

الابن: ...

الأب: كان الله في عونك.

الابن: ماذا قلت؟

الأب: إلى اللقاء.

تذكير!

- يقف خلف سلوك الإنسان إحساس، وخلف الإحساس قناعة.

- لا يمكن لأي منا أن يضمن عدم تغيير مبادئه في المستقبل، فضلا عن ضمان عدم تغيير مبادئ وأفكار الشريك!

- عندما يتعلق الإنسان بشخص ما ينصب تركيزه فقط على الجوانب المضيئة في ذاك الشخص، والعكس..

- أحد أهم أسباب فشل الزواج، اكتشاف عيوب في الزوج أكبر من الخصال الحميدة التي تميزه..

الجلسة التاسعة: ماذا تريد؟

مادمت لم تحدد ما تريد، توقع أن تحصل على أي شيء!

الأب: لم أرك في الأرجاء منذ يوم أمس!

الابن: كنت هائما.. أفكر فيما دار بيننا في آخر جلسة.

الأب: هل توصلت لأي جديد؟

الابن: استفزتني جدا فكرة أن لا أخلف من تلك الفتاة، فذهبت لأسأل عن أسرتها.. تخيل وجدت أن لها خالة عقيمة، أي أن احتمالية عدم انجابها وارد.

الأب: طرحت عليك فرضية أن تكون غير ولود من باب المناقشة والاستدلال لا غير، لم أقصد أن تتوسع في هذه المسألة بالذات، وإلا فإن موضوع الإنجاب من عدمه قسمة ربانية، ما أدراك أن تتزوج تلك الفتاة وتكون أنت العقيم؟

الابن: تجيد استفزاز أعصابي.. هلا أخبرتني الآن بتقنية الاختيار التي حدثتني عنها؟

الأب: حسنا.. قبل أن تقدم على الزواج اسأل نفسك: هل تريد الزواج، أم تريد الزواج من فتاة بعينها؟

الابن: لم أفهم، ما فرق؟

الأب: الفرق شاسع إن أمعنت التفكر.. في الأولى الزواج هو الغاية، أما في الثانية الفتاة هي الغاية.

الابن: تقصد أن يكون الزواج غاية في ذاته.

الأب: صحيح.. إذا كان الهدف هو الزواج يمكن لأي فتاة أن تفي بالغرض، أما إن كان الهدف هو الفتاة فإن الزواج نفسه لن يفي بالغرض!

الابن: ماذا لو أردت الزواج لذاته، لكن من فتاة معينة من اختياري.

الأب: لا بأس، المهم أن لا يكون الزواج تابعا بل متبوعا.. أقصد أن تأتي الفتاة بعد الرغبة في الزواج، لا العكس.

الابن: ما الفرق؟

الأب: الفرق في أن الزواج يصبح أصلا، ولهذا تأثير نفسي ينعكس إيجابا على الحياة الزوجية فيما بعد.

الابن: من أين يجب أن تنبع الرغبة في الزواج في هذه الحالة؟

الأب: من الفطرة التي فطرنا الله عليها، ثم من دافع قوي..

الابن: لم الدافع القوي؟ عدد كبير من الناس حركتهم نحو الزواج دوافع متعددة.. وفي النهاية تزوجوا جميعا!

الأب: لكن قلة منهم استمروا.. لذلك يجب أن يكون دافع الزواج قويا، أقوى من أن تأثر فيه أي عوامل الأخرى..

الابن: الدوافع كثيرة، كيف تميز الدافع القوي من الهش؟

الأب: بسيطة.. اسأل نفسك لماذا تريد الزواج؟

الابن: لعدة أسباب..

الأب: أرجو أن لا يكون من بينها: (لأني أحب فلانة..) أو (لأني أتقدم في السن..) أو (لأني أريد أن أنجب أطفالا يعتنون بي في حال هرمت...)

الابن: لا.. لا.. فيما يخصني أرغب في الزواج طاعة لله ورسوله أولا، ثم لحفظ النفس ثانيا.

الأب: جيد، هذا دافع مثالي.. ولكن يجب أن تكون واعيا بما تعنيه: (طاعة الله ورسوله)

الابن: أنا واع بما تحمله من معان!؟

الأب: أتمنى ذلك، لأن عددا كبيرا من المسلمين يقولون أنهم تزوجوا على كتاب الله وسنة رسوله، وإذا نظرت للزواج وجدت أن العقد والمهر هما فقط ما يتم وفق كتاب الله وسنة رسوله.

الابن: ماذا تقصد؟

الأب: يجب أن تمر جميع مراحل الزواج وفق كتاب الله وسنة رسوله، بدأ من اختيار الزوج..

الابن: لكن اختيار الزوج مسألة شخصية!

الأب: هذا معروف، والإسلام ولا يختار مكانك بل يرشدك إلى كيفية اختيار شريك حياتك.

الابن: هل هذا صحيح؟ لم أكن أعلم!

الأب: هذا حال غالب من يتخذون الزواج وسيلة لا غاية..

الابن: وسيلة؟

الأب: نعم وسيلة لتحقيق غاية ما، قد تكون الظفر بمعشوق، أو تحقيق منفعة...

الابن: فهمت..

الأب: إذا كيف يعقل أنك تريد الزواج على كتاب الله وسنة رسوله ولا تعلم أن الإسلام أرشد إلى كيفية اختيار الزوج؟

الابن: أعترف بأن هذا تقصير.

الأب: الإسلام نظام متكامل عندما يجزأ لا يأتي بالنتائج المرجوة منه، كالخيمة إذا سقط أحد أعمدتها لم يستقم بناؤها.. فعندما يرغب الإنسان بالزواج طاعة لله،

ويسلك لذلك طريقا حرمها الله، ثم يعقد قرانه كما أمر الله، وبعد ذلك يعاشر زوجه بما لا يرضي الله.. كيف لهذا الإنسان أن ينعم بالسكينة التي أخبر عنها الله!؟

الابن: معك حق.. إذن كيف أختار؟

الأب: تحدثنا بهذا الشأن في الجلسات السابقة باستفاضة، لا يمكنك أن تختار، وحتى إذا اخترت سيكون اختيارك قاصرا.. أولا: لأنك لا تعرف زوجك حق المعرفة، لأن العقل إذا أراد شيئا استحسنه؛ ثانيا: لا تضمن أن هذا الزوج -الذي تعرفه- سيظل كما هو مهما طال بكما الزواج؛ ثالثا: لا تعلم إن كانت له عيوب أكبر خصاله الحميدة..

الابن: ما الحل؟ اختيار زوج صالح في هذه الحالة من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله!

الأب: ما قلت الآن هو بيت القصيد.. الله وحده يعلم الأصلح لك من بين آلاف البشر. لذلك أرشدنا رسول الله، عليه الصلاة والسلام، إلى كيفية اختيار الزوج.

الابن: هذا ما قصدت.. كيف أختار وفق ما أخبرنا الإسلام؟

الأب: هذا موضوع آخر، و يحتاج لجلسة أخرى..

الابن: دوما توقف الجلسة عند أهم نقطة.

الأب: لم يتبق الكثير.. كلما كان الكلام مركزا كان احتمال أن يكون نافعا أكثر، ولا تجعل ما قلناه خلال هذه الجلسات يذهب أدراج الرياح إنه عصارة تجارب طويلة.

الابن: لا تقلق، لقد بدأت منذ يوم أمس بتدوين ما دار بيننا من أول جلسة.

الأب: أحسنت.. نفع الله بك.

تذكير!

- قبل أن تقدم على الزواج اسأل نفسك: أتريد الزواج أم تريد الزواج من فتاة بعينها؟

- إذا كان الهدف هو الزواج يمكن لأي زوج أن تفي بالغرض، أما إن كان الهدف هو الزوج فإن الزواج نفسه لن يفي بالغرض!

- التفكير في الزوج يجب أن يأتي بعد حسم الرغبة في الزواج، لا العكس.

- الدافع السليم للزواج لدى الإنسان المسلم هو طاعة الله ورسوله، ثم لحفظ النفس.

- يلزم أن تمر جميع مراحل الزواج على كتاب الله وسنة رسوله، بدأ من اختيار الزوجة..

الجلسة العاشرة: الألفة والتعلق

قبل أن نتعلق بالأشخاص نألفهم، نتيجة احتكاكنا المتكرر بهم.

الأب: ما بك؟ لاحظت عليك شرودا أكثر من المعتاد هذا اليوم.

الابن: أود أن أبوح لك بشيء.

الأب: تفضل..

الابن: هل أستطيع الآن أن أحكم ما إذا كانت تلك الفتاة تصلح لي كزوجة أم لا؟

الأب: ليس الآن.. لا تقلق أنت من سيقرر في الأخير.

الابن: بعد جلساتنا أدركت أني كنت مندفعا عندما قلت أني اخترت الفتاة التي تصلح لي عن تبصر..

الأب: مصارحة النفس أمر جيد.

الابن: لا أنكر أن رغبتي في تلك الفتاة لم تعد بتلك الشدة كما في السابق، لكني أيضا لا أستطيع أن أنكر أني لازلت متعلقا بها.

الأب: أمر طبيعي.. لا يمكنك أن تتعلق بأشخاص وتتركهم بسهولة.

الابن: حدثني أكثر بهذا الشأن..

الأب: ناقشنا أسباب التعلق، وقلنا أننا لا نحب الأشخاص لذواتهم بل لصفاتهم التي نحبها نحن.. إذا عرفت أسباب التعلق وبقيت منجذبا لتلك الفتاة فبسببين لا ثالث لهما.

الابن: أول هذه الأسباب؟؟

الأب: الألفة.

الابن: الألفة!؟

الأب: نعم الألفة.. عندما نألف شيئا نحتاج فترة لنتعود على غيابه أو لتقبل فقده.

الابن: الأمر عادي!؟ أقصد ليست له أي تبعات على الصحة النفسية؟

الأب: حسب درجة التعلق.. كلما أمضيت فترة طويلة مع الشيء الذي تعلقت به كلما كان فقده أمرا صعبا.

الابن: لماذا تقول (الشيء) الذي تعلقت به؟ هل الإنسان يتعلق بغير أخيه الإنسان؟

الأب: نعم قد يحدث.

الابن: دوما تفاجئني، اضرب لي مثالا..

الأب: لو أن لك قطة في البيت، تلاعبها وترعاها مدة من الزمن، وفي يوم قُتلت أو اختفت.. ألن تشتاق لرؤيتها؟ ألن تعشر بأن البيت صار موحشا بعد غيابها؟ ألن تتوهم سماع صوتها في بعض الأحيان؟

الابن: من الغريب أن كلامك صحيح! عاينت بعض الأشخاص الذين أسدلوا الدموع على حيواناتهم.

الأب: هذا صحيح.. بسبب الألفة، لا غير، أما إذا وصفنا من يبكي كلبه أو قطته أنه عاشق ولهان فإننا سنكون قد طرقنا بابا من أبواب العبث والجنون!!

الابن: معك حق.. لا أصدق أني أفكر بتلك الفتاة كما يفكر من فقد قطته بقطته وبعد مدة سيأتي بقطة أخرى وينسى الأولى!

الأب: هذا تماما هو ما يحدث.

الابن: لكن هناك بعض الأشخاص لا يستطيعون نسيان من عشقوهم أياما طوال، وربما العمر كله.

الأب: يحدث هذا، لكنه نادر.. وهذا يدخل في إطار السبب الثاني من أسباب التعلق، الذي هو حب الامتلاك.

الابن: وماذا يعني هو الآخر؟

الأب: هو مرض الامتلاك، وهو إحدى الصفات التي يمتاز بها الأطفال.. المصاب بهذا المرض لا ينظر لما يملك، بل يسعى دوما للحصول على ما لا يملك، وبمجرد أن يحصل على هذا الشيء يرميه وراءه وينصرف للبحث عن شيء آخر لا يملكه، تماما كالأطفال.

الابن: تظن أن هناك بعض الأشخاص بهذا الوصف؟

الأب: هم كثر، يمكنك ملاحظتهم من خلال تصرفاتهم، المشكل أنهم غير واعون بهذا المرض، إذ يعدون تصرفاتهم طبيعية.. حقيقةً، جميعنا مصابون بهذا المرض منذ الصغر، ودرجة شفائنا منه تختلف من شخص لآخر.

الابن: هل يمكنك أن تضرب لي مثالا لهذا المرض..

الأب: قد تصادف شخصا حريصا على اقتناء شيء ثمين، ومع أن الكثيرين يشيرون عليه بأنه لن ينتفع من هذا الشيء، إلا أنه يصر على اقتنائه بكافة الوسائل الممكنة حتى ولو اضطر للاستدانة، وبمجرد أن يحصل على ما يريد ويذوق حلاوة التملك ساعتها.. يهمل ذلك الشيء وربما فكر بكيفية التخلص منه.

الابن: يحدث لي أحيانا هذا الأمر.

الأب: هو مرض يداوى بطرق عديدة أبرزها تحكيم العقل، لكن أنجع دواء هو القناعة.

الابن: وكيف تربط ما قلت بالعشق والتعلق.

الأب: الأمر نفسه، عندما يعجب شاب بفتاة ما، يتحرك داخله مرض التملك ويرغب في الحصول عليها لنفسه، ويزداد إصراره للظفر بها كلما كانت متمنعة

وكلما كانت الظروف تسير عكس ما يريد، ويظل على رأيه إلى أن تنصاع له الفتاة وتتحقق رغبته.. وبعد أن يتزوج بالفتاة التي أقام الدنيا من أجلها يهملها كأي سلعة اشتراها إرضاءً لنزوته المرضية.. لأن هدفه لم يكن الزواج، بل كان الحصول على الفتاة، وقد حصل عليها وانتهى التحدي!

الابن: غريب! وفي حال لم يحصل عليها؟

الأب: سيصبح اسمه (مجنون فلانة) وسيكتب الناس عنه التخاريف.

الابن: سمعت بعض العلماء يقولون أن العشق بلاء.

الأب: صحيح.. وهو عقاب في بعض الأحيان.

الابن: كيف؟

الأب: كل تعلق بغير الله يذل صاحبه، إلا التعلق بالله، يرفع صاحبه.

الابن: أحس كأن حملا ثقيلا ينزاح عني مع كلماتك هاته.

الأب: طبيعي، لأن الأمور الغامضة مرهقة في العادة.. عندما يصغي الناس مثلا لإنسان خائف، الراجح أن الكل سيشعر بالخوف.. والشائع كذلك أن الناس يضخمون ما لم يستطيعوا تفسيره بالعقل.

الابن: هذه الأمور يجب أن يطلع عليها الناس جميعا.. الغالبية يسمون التعلق والألفة حبا.

الأب: هذا خطأ، والدليل أنه بإتباع طريقة علمية معينة يمكن لأي شخص أن يتعلق بك مهما بدا لك أن ذلك مستحيل نظريا.

الابن: ما هي هذه الطريقة؟

الأب: وفيمَ ستنفعك؟

الابن: أريد معرفتها فقط..

الأب: صدقني.. من الأفضل أن تكون على سجيتك.

الابن: لكنك الآن تخفي عني علما!

الأب: أرى في عينيك أن هذا العلم سيضرك أكثر مما سينفعك، سأطلعك عليه عندما لن نكون في حاجة إليه.

الابن: حسنا، كما تريد.. أريدك الآن أن تطلعني على كيفية اختيار الزوج وفقا لما أرشدنا إليه ديننا الحنيف.

الأب: ألا تعتقد أن وقتنا قد نفذ؟

الابن: أرجوك.. كنت أتوق لهذا النقطة بالتحديد.

الأب: لم تذهب الجلسة سدى، للتو قلت أن حملا ثقيلا انزاح عنك.. الراحة النفسية لا تقدر بثمن.

الابن: معك حق.

الأب: إذا نلتقي في الغد، أتمنى أن لا تسهر هذه الليلة أيضا.

الابن: اطمئن.. إذا سهرت هذه الليلة فمن أجل لقاء الغد، لا لشيء آخر..

تذكير!

- لنألف وجود شخص في حياتنا هي مسألة وقت، ولكي نألف غيابه هي مسألة وقت أيضا!

- يمكنك أن تشعر بالوحشة والفراغ لأن قطتك اختفت، هذا لا يعني أنك تحب القطة بل لأنك ألفت وجودها في حياتك..

- الذي يصر على امتلاك شيء معين لا يفترض أن الله أبعده عنه ليحميه، ولو أنه ارتضاه له لجعله بين أيديه.

- كل تعلق بغير الله يذل صاحبه، إلا التعلق بالله.. يرفع صاحبه.

الجلسة الحادية عشر: الاختيار

لا تزال تظن أنك أحسنت الاختيار، حتى ترى ما في أيدي الناس.

الابن: إذا وصلنا للحظة الحاسمة.

الأب: أراك تَحمل معك دفترا وقلما!

الابن: لقد أنهيت كتابة جميع ما دار بيننا في الجلسات السابقة.. سأدون الجلسة الآن مباشرة.

الأب: هذا جيد.. أحسنت.

الابن: إذا قل لي.. كيف أختار؟

الأب: بعد أن تخلصتَ من ضغط الفتاة التي كانت تمنع عقلك من التفكير بشكل مستقل.. اسأل نفسك هل لازلت ترغب في الزواج، أقصد ولو بدون تلك الفتاة؟

الابن: في الأول ترددت قليلا، لكني توصلت في الأخير إلى أن الزواج زيادة عن كونه طاعة هو ضرورة لحفظ التوازن النفسي للإنسان.

الأب: أحسنت.. اسأل نفسك الآن ما مواصفات الفتاة التي تريد الزواج منها.

الابن: لم هذا السؤال؟

الأب: ليسهل عليك البحث..

الابن: كل ما أريده هو زوجة صالحة.

الأب: هل لي أن أسألك عن دواعي هذا الاختيار.

الابن: بالتأكيد.. أعتقد أن النساء معادن.. فكرت طويلا ثم قررت أن أختارها صالحة صاحبة دين وأخلاق.

الأب: جميل.. لو أنك قرأت حديث رسول الله.

الابن: عليه الصلاة وسلام.

الأب: لوجدته يقول الشيء نفسه.. تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك.

الابن: إذا أصبت في الاختبار الأول تلقائيا.

الأب: بل فطريا.. لكن قبل أن تبحث عن زوجة صالحة، أصلح نفسك أولا لتكون أهلا لها.

الابن: معك حق.

الأب: طلبت منك أن تصلح نفسك لأن المهر الفعلي للزوجة الصالحة هو الزوج الصالح.

الابن: كيف؟

الأب: الزوجة صاحبة الدين والخلق تريد في الرجل دينه وخلقه.. لأن طبعها يعكس ميولها.

الابن: فهمت..

الأب: للإشارة كلما كان تديّن الزوج أكثر كلما انعكس ذلك على الزواج بإيجاب، أما إذا كان كلا الزوجين متدينين فإنهما يتجنبان صدامات عدة يقع فيها أغلب العوام.

الابن: كيف؟ أعطني أمثلة..

الأب: على سبيل المثال لن يكون الزوج مضطرا لإخبار زوجته بحقوق الزوج عليها ولا بواجباتها الأسرية، بل سيجدها تعلم ضمنيا أن طاعة الزوج واجبة إلى

غير ذلك مما أمر به رسول الله معشر النساء.. والشيء نفسه للزوجة، عندما تختار الزواج من رجل متدين ستضمن أنه يعرف حقوقها عليه، وأفضل ما قيل في هذا الشأن هو قول الحسن رحمه الله، لما أتاه رجل يسأله قال: قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ رد عليه الحسن قائلا: ممن يتقي الله، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.

الابن: كلام جميل.

الأب: لذلك سبق وأن قلت لك إن الإسلام نظام متكامل، ما فائدة أن تربي ابنتك على طاعة الله ورسوله ثم تزوجها من ثري سكير!؟

الابن: وكيف أجد هذه الفتاة الصالحة صاحبة الدين في هذا الزمان؟

الأب: خلق الله لنا هذه الحياة واسعة ليجد كل منا ضالته.. ثم إن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

الابن: كيف أعرف أن فلانة فتاة متدينة؟ قد تدعي التدين لتقتنص زوجا.

الأب: الأب -في غالب- مرآة لابنته، صلاح البنت من صلاح والدها، والبذرة الطيبة في الأرض الطيبة لن تكون ثمارها إلا طيبة.

الابن: في السابق كان أجدادنا لا يرون زوجاتهم إلا ليلة الزفاف، ما رأيك؟

الأب: في المسألة إبداء لحسن النية وقصد للزواج لا الزوجة، وهو أمر مستحب، لكن فيه غلو.. نبينا حثنا على النظرة الشرعية.

الابن: كأنك تناصر هذا الرأي! كيف لزوجين يريدان إفناء حياتهما مع بعض أن ينظرا لبعضهما مرة أو مرتين؟؟

الأب: هل الأصل هو كثرة اللقاءات قبل الزواج أم إنجاح الزواج؟

الابن: إنجاح الزواج بكل تأكيد.

الأب: إذا فما بال معدل الطلاق لدى شباب اليوم أضعاف أجدادنا الذين لم يرو بعضهم إلا ساعة الزفاف؟

الابن: في الواقع ليست لدي إجابة..! لكن هناك بعض الأمور التي تحتاج لنقاش وتفاهم.

الأب: صدقني إذا قلت لك أن الزوجين إذا كانا على وعي بدينهما فهما ليسا بحاجة لكثير من التفاهم القبلي.. ستجد كل واحد منهما يعرف حدوده و واجباته وحقوقه.

الابن: إذا تمكنت من إقناعي أنا فلا أعتقد أنك ستقنع أحدا بعدي.

الأب: أنا لا أسعى لإقناع أحد، هذه حقيقة، من شاء فليأخذ بها ومن شاء فليدعها.. كل نفس تجني على نفسها.

الابن: لو فرضنا أن زوجين لم يريا بعضهما إلا قبل يوم من الزفاف، كيف يمكن أن يسهم هذا في إنجاح زوجاهما؟

الأب: عاينت حالات كثيرة لأزواج يعانون من الملل والرتابة في حياتهم الزوجية، بسبب أنهم يعرفون عن بعضهم كل شيء قبل الزواج.. ألا ترى أنه من الجميل أن يفتح الزوجين قلبيهما لبعض بعد الزواج، وأن يقتسما لحظات طريفة أثناء اكتشافهما لعادات وطقوس بعضهما.. للأسف هذه الأمور لم يجرب لذتَها شباب اليوم.

الابن: أنت ترغبني في الزواج بهذه الطريقة.

الأب: بل أحثك عليه..

الابن: أخاف أن أقع في زوجة لا أكون على وفاق معها في ما بعد.

الأب: قال أجدانا أن الزواج قسمة ونصيب، وأضيف أنا أنه رزق.. والرزق يحتاج منك للتوكل، فإذا توكلت على الله لاختيار زوجة صالحة أعانك الله على اختياها، أما إذا أردت أن تختارها بنفسك وكلك الله لنفسك.

الابن: أرجوك لا تحمسني أكثر.. اترك لي وقتا كي أفكر في هذا الموضوع.. الآن بعد أن وقع الاختيار على الزوجة، ماذا بعد؟

الأب: قبل أن يقع الاختيار وقبل أن يكتب العقد، ضع أمامك كافة المصاعب التي قد تواجهها في حياتك الزوجية، ثم اسأل نفسك هل أنت مستعد لمعالجتها ولتخطيها؟ وكيف؟

الابن: هل هذا ضروري؟

الأب: بل بالغ الأهمية، أنت بهذه الطريقة تهيأ نفسك نفسيا لاستيعاب أي أزمات مستقبلية، وبهذه الطريقة أيضا تدرك أن الزواج ليس لعبة أطفال.

الابن: ما دام الأمر كذلك.. أنا بحاجة لوقت كي أدرس إمكانية تقبلي كافة المصائب التي قد تواجهني أثناء الزواج.

الأب: يجب أن تخرج النتائج كلها موجبة، أي أن تكون على استعداد تام لتحمل المسؤولية، وهذا لا يعني التغافل عمدا عن بعض النقط.

الابن: أحس الآن بثقل المسؤولية.

الأب: هذا بالضبط ما أردت الوصول إليه.. على العموم لقد انتهى وقتنا، خذ ما يكفيك من الوقت لتدرس قدرتك على تحمل المشاكل.. إلى الملتقى إن شاء الله.

تذكير!

- حديث: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)

- صاحبة الدين والخلق لا ترضى بغير المتدين الخلوق.

- صلاح البنت من صلاح والدها، و مهر الزوجة الصالحة هو الزوج الصالح.

- بعد الزواج هناك متسع شاسع للتعارف، شيء جميل أن يقتسم الزوجان لحظات طريفة أثناء اكتشافهما عادات بعضهما..

- إذا توكلت على الله لاختيار زوجك أعانك الله على اختيارك، أما إذا أردت أن تختار بنفسك وكلك الله لنفسك.

- ضع أمامك كافة المصاعب التي قد تواجهها في حياتك الزوجية، ثم اسأل نفسك: هل أنت مستعد لتخطيها؟ وكيف؟

- الزواج قسمة ونصيب ورزق، والرزق يحتاج التوكل على الله.

الجلسة الثانية عشر: المساواة

النساء والرجال كالشمس والقمر، شقيقان لكن مختلفان!

الأب: اختبرتَ قابليتك لتحمل كافة المصاعب؟

الابن: صراحة لازلت أحتاج وقتا أكثر للتفكير.

الأب: جيد، يعجبني تريثك.. قل لي، من أي نوع أنت؟ من الذين يرفضون أن تعمل زوجاتهم أم من الذين لا يرون في ذلك مانعا؟

الابن: الذكور بطبعهم يرفضون أن تخرج زوجاتهم للعمل. وأنا أيضا لا أخفيك تضايقي من هذه المسألة، لكني أحترم رأيها إذا أصرت على العمل.

الأب: أي أنك لا ترى مانعا في خروجها للعمل؟

الابن: ما المانع؟ النساء شقائق الرجال.

الأب: إذا أنت من أنصار المساواة بين الجنسين؟

الابن: الرجال والنساء متساوون أصلا في الدين والعرف والواقع، المشكل الوحيد الذي لدينا هو في تقبل هذا الواقع.

الأب: لا أحب أن أقول أنهم غير متساويان، لكنهما مختلفان.

الابن: لا أصدق أنك من الذين يقولون بأن الرجال أفضل من النساء!

الأب: لم أقل هذا الكلام.. الرجال والنساء يتفاضلون في الفضائل، ولا أفضلية لأحد على الآخر.. ما قصدته أن المرأة ليست كالرجل.

الابن: كلامك غير متناسق.. النساء والرجال هما سيان في الحقوق الواجبات، أنظر للدول المتقدمة على سبيل المثال، ألا ترى كيف يعاملون بعضهم؟ لا فرق لديهم بين...

الأب: حسبك.. الاستدلال بالآخرين دليل على الضعف والانهزام، ثم إنه لا يعنينا الآخر، نحن أعلم بما يصلح لنا من غيرنا.

الابن: النساء شقائق الرجال.

الأب: مَثل الرجال والنساء كمثل الشمس والقمر، هما شقيقان، لكنهما مختلفان، يشتركان في بعض التفاصيل لكن لكل منهما وظيفته الخاصة..

الابن: هل تستطيع أن تثبت أنهما مختلفان؟

الأب: نعم بالتأكيد، ومن كافة النواحي.

الابن: كيف؟ تفضل أثبت ذلك، أنا أسمع..

الأب: بما أننا مسلمون، وبما أنك تود الزواج على كتاب الله وسنة رسوله، فلننظر للموضوع أولا من جانب الدين.. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه: «وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ..» وهذا كلام واضح لا يحتاج لتفسير أو لتأويل. الله خالق كل شيء يقول أنه لم يخلق الذكر كالأنثى، ولا يحق لمن رضي بالله رباً وبالإسلام دينا أن يشك في هذه المسألة فضلا على أن يجادل فيها.. ومعلوم أن قول المسلمين عند تلقي أوامر الله ونواهيه...

الابن: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..»

الأب: وهذا الدليل وحده كاف لإقناع أي مسلم. أما غير المسلمين -وإن كانوا لا يعوننا في هذا النقاش- فإنه أيضا لا يسعهم سوى الإقرار باختلاف النساء عن

الرجال، سواء من حيث: التكوين الجسدي الخارجي للرجل، ليس كتكوين المرأة، إذ يمكنك بسهولة أن تميز أي امرأة من بين آلاف الرجال، إضافة إلى أن بنية الرجل أقوى من بنية المرأة. وأيضا من حيث التكوين الداخلي للجسد، فجسد المرأة من الداخل ليس كجسد الرجل، تشهد بذلك الهرومونات والخلايا العصبية الخاصة بكل جنس. وكذلك هما مختلفان من حيث التكوين النفسي والعاطفي، وكلنا يعلم رقة النساء وحساسيتهن مقارنة بالرجال.. إذا فهما مختلفان دينيا وجسديا وفسيولوجيا ونفسيا وعاطفيا.. ما يثبت دقة الآية الكريمة: «وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ..»

الابن: سبحان الله..

الأب: والعجيب أنك إذا تعمقت في الاختلافات التي أحلتك إليها، ستجد أن كل ضعف لدى الرجال يقابله قوة لدى النساء، والعكس.. فمثلا الصرامة لدى الرجال تبدأ من الاعتدال وتصعد إلى قمة القسوة والغلظة، والصرامة لدى النساء تبدأ من الاعتدال وتنزل إلى أقصى درجات الرحمة والتهاون.. وهذا ما يؤكد أن الرجل والمرأة أنصاف يحققان كمالهما مع بعضهما.

الابن: الآن متفقان.. كل منهما يكمل الآخر.

الأب: لكنهما مختلفان، دينا وعرفا وواقعا.. أليس كذلك؟

الابن: حسنا، أعتقد ذلك.

الأب: الإسلام دين عدل لا مساواة.. المساواة في أحيان كثيرة ظلم. وفي رأيي أن الدعوة للمساواة بين الجنسين من دعاوى الجاهلية.

الابن: ماذا تقصد؟

الأب: الواجب هو دعوة كل جنس للالتزام بواجباته الدينة والأخلاقية التي تتناسب والفطرة التي فطره الله عليها.. عوض الانسياق في حرب تراشق جاهلية دبرها أعداء هذه الأمة لتدمير أبنائها.

الابن: حرب؟

الأب: تذَكر أن هذا ليس موضوعنا.. لكن سنعرج سريعا على هذه النقطة. المرأة نصف الرجل، وفسادها سيؤدي حتما لفساد المجتمع بأسره، ولأنه من السهل التأثير في النساء، سعت بعض الجهات لاستفزازهن عبر إيهامهن بأنهن مستضعفات وأن بلدانهن حكر على الذكور، وضربوا لهن الأمثلة بالمسلسلات والأفلام الهابطة.. ومن آتاه الله شيئا من البصيرة يدرك حقيقة هذه المساواة، وحقيقة هذا التحرر الذي أرادوه لها، فمثلا من سمات المرأة المتحررة: خروجها عن الأعراف والتقاليد، ونزعها لباس التقوى والحياء، وتشبهها بالكاسيات العاريات من نساء الغرب، ثم طعنها بعد ذلك في بعض الآيات والنصوص القرآنية.. وبطبيعة الحال كلما ازدادت سفورا ومعاندة للقيم والأخلاق كلما ارتقت في سلم التحرر، وهذا يشهد به الواقع للأسف ولا حول ولا قوة إلا بالله..

الابن: معك حق.. بالعودة لموضوعنا، اختلاف النساء عن الرجال لا يعني أن العمل حكر على الرجال.

الأب: بالتأكيد، يحق للمرأة أن تعمل.. لكني أفضل أن لا تعمل.

الابن: لم؟

الأب: لله في خلقه آيات وحكم، يجب علينا أن نستنبطها ونعمل بمقتضاها.. إذا تأملنا بنية المرأة وقارنها ببنية الرجل، سنجد أن بنية الرجل أقوى وأقدر على تحمل أضعاف ما تطيقه المرأة، ما يحيلنا إلى أن الله سبحانه أراد للرجل أن يعمل لا المرأة، وإلا ساوى بينهما في البنية كما ساوى بينهما في بعض الخصائص.. واتباع حِكم الله في خلق لا شك يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

الابن: أي نفع يجنيه المجتمع من عدم خروج النساء للعمل؟

الأب: لو التزمنا بعدم خروج المرأة للعمل، لحللنا ثلاث معضلات تتخبط فيها مجتمعاتنا العربية، أولها العزوف عن الزواج.. ما السبب الرئيس في العزوف عن الزواج في نظرك؟

الابن: عدد من أصدقائي يرغبون في الزواج لكن ظروفهم المادية لا تسعفهم.

الأب: واضح أن للبطالة دورا رئيسا في العزوف عن الزواج.. وإذا أوجدنا حلا لمشكل البطالة سنكون قد تخلصنا من أكبر عقبة تقف في وجه ظاهرة العزوف.

الابن: وكيف ستحل مشكل البطالة؟؟ هذا مشكل أرق كبرى دول العالم!

الأب: بسيطة.. لو أن النساء لا يعملن في مجتمعنا لما كان لمشكل البطالة وجود! قل لي: كم عدد المناصب التي تشغلها النساء في مجتمعاتنا؟

الابن: لا تصل للنصف، حوالي 30% على الأكثر من إجمالي المناصب.

الأب: هذه بالذات هي نسبة البطالة مجتمعاتنا!

الابن: كيف؟ هذا غريب!!

الأب: كل امرأة تعمل في مجمعتنا يقابلها رجل يصبح عاطلا.. الله سبحانه وتعالى تكفل بأرزاقنا، وجعلها مرتبطة فيما بينها، لأن حكمة الله من وراء خلقنا ليست هي العمل، بل العبادة.. لذلك تكفل الله سبحانه -بحكمة بليغة- بضمان فرص عمل محدودة تضمن أرزاق العباد جميعا.

الابن: مهلا.. هل تقصد أن بين كل رجل وامرأة منصب شاغر، وأيهما أخذ المنصب صار الآخر عاطلا؟

الأب: تماما.. وعمل الرجل أجدى بكثير من عمل المرأة، ليس من حيث الكفاءة، ولكن من حيث الفاعلية والمصلحة العامة.. فالرجل -على سبيل المثال- إذا أوجد عملا أعال أهله، وتزوج وأنشأ أسرة.. أما المرأة حتى إذا أوجدت عملا فإنها ستظل عانسا، في انتظار أن يتقدم إليها أحدهم، وهذا الذي كان من المفترض أن يتقدم لها عاطل عن العمل، بسبب أنها ربما أخذت منصبه المفترض! لذلك تجد أن النساء أكثر تضررا بظاهرة العزوف.

الابن: وفي حال لم تجد المرأة أي عمل؟

الأب: هي أصلا غير مطالبة بالعمل، الله أوجب على زوجها أن ينفق عليها وعلى أولادها.. ولك أن تتخيل كيف تمضي حكمة الله على يد رجل واحد، أحيانا قد تتشرد أسرة كبيرة إذا انقطع رب الأسرة عن عمله، بينما لا ينتفع من عمل المرأة -في الغالب- سواها.

الابن: هذا حقا أعجب كلام أسمعه، لم أكن أتخيل أن معضلة كالبطالة يمكن حلها بهذه البساطة! إذا جلوس المرأة في البيت حجر بصفورين، البطالة والعزوف عن الزواج..

الأب: بل بثلاث عصافير.. الثالث هو التحرش، لولا مداومة المرأة على الخروج للعمل واحتكاكها بالرجل لما ظهرت هذه الآفة.

الابن: هل تبرر التحرش؟

الأب: بل أمنع الظاهرة من أساسها، وهذا ما يفعله الإسلام في معالجة مثل هذه الظواهر، تأمَّل: 1- يُرغب المرأة في بيتها. 2- ويأمر بعدم الاختلاط. 3- وينهى عن المصافحة. 4- وكإجراء احترازي يأمر بغض البصر.. نسبة حدوث تحرش لدينا كمسلمين % 0 لكن الواقع للأسف شيء آخر.

الابن: على هذا الأساس ستقبع النساء في البيوت؟

الأب: سبق وأن قلت لك بأن لله سبحانه حِكماً يجب علينا استخلاصها.. بينما عوام الناس يجادلون في أوامر الله ونواهيه بكل جرأة و وقاحة، أولوا الألباب يبحثون عن الحكمة الخفية في أمره أو نهيه.. اسأل نفسك، ما الحكمة التي أرادها الله سبحانه حينما خاطب النساء بقوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ..»؟ إذا أمعنت التفكر ستجد أن الغاية في دفع المرأة للمكوث في بيتها -بعد الغايات الأخرى سالفة الذكر- هي غاية سامية، تتمثل في إنشاء جيل متزن سيكون لبنة في بناء مجتمع الغد.

الابن: يمكن أن تتكفل بهذه المهمة مربيات أخصائيات.

الأب: الطفل في حاجة إلى قلب والدته لا لمربية أو جليسة.. أحيانا يبكي الطفل من غير سبب، فإذا التقت عيناه بعيني والدته سكن ونام في حضنها. مجرد النظر في عيني والدته كاف ليمنحه الدفء والحب اللازمين. ألم تتساءل يوما لم جعل الله الرضاعة في عامين؟ ألا تبدو لك مدة طويلة مقارنة مع باقي الثديات؟؟ إرضاع الأم لطفلها حولين كاملين ينبهنا لكون أن أطفالنا لا ينمون بالطعام وحده، ولكن بالحب أيضا.

الابن: يمكن للآباء أن يقوموا بهذا الدور..

الأب: يمكن، لكن حكمة الله وكلت هذا الأمر للنساء.. لاحظ الأطفال الصغار وهم يلعبون، ستجد الصبيان يقفزون ويتعاركون، بينما البنات يلعبن بالدمى ويتقمصن دور الأمهات.. إنها فِطرٌ نُجبل عليها قبل أن تلوث أفكارنا بالآراء.

الابن: صحيح، إلا أن بعض النساء يرين جلوسهن في البيت انتقاصا منهن.

الأب: صدقني يا بني، معشر النساء يصعب إرضاؤهن.. لو أن الله أوجب عليهن الخروج للعمل وأجلس الرجال في البيوت، لاستنكروا أيضا وقالوا: ما بال الرجال يجلسون في البيوت كالأميرات..!

الابن: أظن أن معك حق.

الأب: الضعيف دوما يرجح فرضية أنه تم خداعه أو التلاعب به، لمجرد أنه ضعيف!

الابن: لقد طالت جلستنا هذه المرة.

الأب: أرأيت كيف تتطبع الأشياء بالتكرار؟

تذكير!

- الرجال والنساء كالشمس والقمر، شقيقان لكنهما مختلفان، لكل منهما وظيفته الخاصة.

- كلما ازدادت المرأة سفورا ومعاندة للقيم والأخلاق كلما ارتقت في سلم التحرر.

- من ثمار عدم خروج المرأة للعمل حل مشاكل: البطالة، العزوف عن الزواج، التحرش..

- الإسلام دين عدل لا مساواة.

- الجاهل يجادل في أوامر الله ونواهيه، بينما يحاول العالم أن يستخلص حكمة الله من خلف ذلك.

الجلسة الثالثة عشر: الزواج

قد تكون هناك بداية، لكن لا وجود للنهاية.. الموت نفسه بداية لحياة أخرى.

الابن: حسنا، أنا جاهز.

الأب: إذا درست إمكانية تقبل وتجاوز كافة مصاعب الزواج؟

الابن: نعم قد فعلت..

الأب: هلا أخبرتني كيف فعلتها؟

الابن: أول شيء سمعت قصصا لأشخاص مطلقين، وسألت نفسي ماذا لو أني مكانهم؟ كيف كنت لأتصرف حينها؟ كيف أتحاشى هذه المشاكل في حياتي الزوجية؟ ثم أوجدت حلا لكافة هذه المشاكل في حال صادفتها. وزيادة على ذلك افترضت أمورا قد أواجهها في زواجي مما لم أسمع به في أي قصة من قبل، وتفاعلت معها بالشكل الذي ينبغي.

الأب: ما شاء الله، أحسنت.. افترضت إمكانية عدم إنجابك؟

الابن: كان هذا أول شيء بدأت به.. الأطفال رزق من الله، الاعتراض على قضاء الله أو عدم الرضى به شرك وجهل، لا يجني الإنسان من ورائه إلا الشقاء والهوس.

الأب: بارك الله فيك.. أحسنت يا بني.. يبدو لي الآن أن وقت هذه الجلسات لم يذهب سدى.

الابن: إن شاء الله لن يذهب سدى، ولا زلت كما ترى أدون كل ما يدور بيننا وقريبا إن شاء الله سيصبح هذا النقاش متاحا للجميع.

الأب: خيرا فعلت..

الابن: انتهينا الآن من الاختيار.. أ بقي هناك شيء آخر؟

الأب: المراحل الصعبة تم تخطيها، والطريق صارت ممهدة.. إلا أن هناك أمورا لا بد من التنبيه إليها.

الابن: كلي آذان صاغية.

الأب: اليوم الأول في الزواج من أهم الأيام على الإطلاق، ووقعه النفسي على الزوجين يكون كبيرا.. لذلك من الأفضل أن يستغل في فتح نقاش بسيط كلمة عميق المعنى، يكون بمثابة ميثاق شرفي وأخلاقي يتعهد فيه الزوجان بأن يحافظ كل منهما على الآخر، وأن يقفا جنبا إلى جنب في أصعب الظروف وأيسرها..

الابن: وقد يكون فرصة ليسأل كل زوج الآخر عما يرجو من هذا الزواج وما يمكنه أن يبذل لإنجاحه.

الأب: وتبادل الكلام اللين له أثر إيجابي في إزالة رهبة الزواج التي تصيب البعض، خصوصا الفتيات التي لم يسبق لهن أن غادروا بيوت آبائهن.

الابن: صحيح.. ثم ماذا؟

الأب: الأيام الأولى في الزواج، هي الأيام التي يتعرف فيها كل زوج على الآخر.. من الأفضل أن لا يتكلف الأزواج في تصرفاتهم وأن يكونوا على سجيتهم قدر الإمكان.

الابن: لم؟

الأب: ليأخذ كل زوج صورة واقعية عن زوجه، بعض الأزواج في الأيام الأولى يفرطون في إظهار شاعريتهم، وهذا يُلزمهم بعدم تغيير هذا الطبع في باقي الأيام وإلا ستحسب على أنها تفريط بعد ذلك.

الابن: تعني أنه يجب على الأزواج في الأيام الأولى أن يتصرفوا بتلقائية لتفادي إيهام الزوج بوجود صفات غير موجدة فيهم؟

الأب: تماما.. افترض لو أن زوجا عود زوجته في الأشهر الأولى بأن يأتيها كل يوم بهدية، ما الذي سيحدث إن توقف الزوج فجأة عن هذه العادة؟

الابن: ستفترض الزوجة أن زوجها أضحى مقصرا في حقها، أو أنه لم يعد يحبها..

الأب: لا يجب على الزوج إظهار مالا يستطيع الوفاء به.

الابن: لكن يجب على الزوجة أن تفترض أن معاملة الزوج المبالغ فيها هي لتعزيز أواصر الألفة لا غير.

الأب: هذا المفروض.. لكن ماذا لو لم تع الزوجة هذا الكلام!؟ هل يكون فاتحة المشاكل؟ الحكيم يا بني ليس من يحل مشاكله، الحكيم من يتحاشى الوقوع فيها.

الابن: معك حق.. إذا هذه هي أسرار الحفاظ على الزواج؟

الأب: لا زال هناك شيء مهم.. أتعلم لم قد تستمر علاقة شابين خارج إطار الزواج لسنوات ثم تنتهي سريعا بعد الزواج؟

الابن: هذا السؤال الذي لم نجب عليه في جلساتنا الأولى.

الأب: هناك سببان؛ الأول هو أن الله لا يبارك في الحرام، وما بني على باطل يصيره إلى الباطل.. السبب الثاني أن الشابين قبل الزواج يسعى كل منهما للحفاظ على الآخر، وقد يقدمان في سبيل ذلك تنازلات وتضحيات.. كل هذا يختفي بعد الزواج، لأن كلا منهما يتوهم أنه بعقد الزواج أمكنه امتلاك الزوج إلى الأبد،

لذلك فهو غير ملزم بتقديم أي تنازلات أو تضحيات! وهذا بالتحديد ما يشتكي منه الغالبية بعد الزواج، لابد أنك سمعت أحد الأزواج يقول: (لقد تغير زوجي أو زوجتي بعد الزواج..)

الابن: سمعت الكثير من هذا الكلام.. إذا يجب على الأزواج أن يعاملوا بعضهم على أساس أنهم قد يخسرون بعضهم في أي لحظة.

الأب: صحيح.

الابن: وفيما يخص المشاكل التي قد يقع فيها الزوجان؟

الأب: كل مشكل بين الزوجين يظل صغيرا، فإذا تدخل فيه أحد غيرهما كبر فجأة.

الابن: تقصد أن لا يشركا أحدا في مشاكلهما الخاصة.

الأب: أبدا.. أفضل طريقة لحل نزاعهما هي بعرضه على كتاب الله وسنة رسوله، وأي منهما كان رأيه أقرب لمقصد الدين وجب تقديمه والأخذ به. أما إذا استفحل الوضع وغمي عليهما الصواب فليتفقا -كلاهما- على شخص حكيم يحتكمان إليه.

الابن: لا أعلم ما الذي كنت سأفعله بدون توجيهاتك هاته!

الأب: بهذه الطريقة وبمزيد من الصبر والمسامحة والتغاضي.. يمكن أن تنشأ علاقة حب بين الزوجين.

الابن: قلت أنه لا يوجد زوجين تزوجا على أساس حب؟

الأب: ولا زلت أؤكد على هذا الكلام، الحب لا ينشأ قبل الزواج، ولكن بعد المعاشرة.. عندما يطلع الزوجان على عيوب بعضهما، ويظل تعلقهما ببعض كما هو، بل ينمو ويزداد، وهذا يكون بسبب مودة ورحمة يلقيها الله في قلبيهما.

الابن: إذا هناك حب.

الأب: بطبيعة الحال هناك حب، ومنه حب الآباء لأبنائهم وأعظم حب هو الإنسان لربه ولدينه.

الابن: الحمد لله.. ظننت أنك لا تؤمن بوجود شيء اسمه الحب..

الأب: شيء آخر، أزواج عدة يكررون سؤال أزواجهم إن كانوا يحبونهم أم لا..

الابن: وهل ترى في هذا السؤال أي خطأ؟

الأب: أبدا، لكنه عديم الجدوى.. عوض أن تسأل زوجك إن كان يحبك أم لا، اجعله يحبك، أرغمه على ذلك.

الابن: كيف!!؟

الأب: بأن تكون النور الذي يضيء ظلمته، والحضن الذي يحتوي وحشته.. كل منا يعاني نقصا في هذه الحياة، والله تعالى خلقنا بنقص لا يمكننا تعويضه، إلا بزوج.. كن أنت اللبنة التي تسد هذا النقص. وأدعوك لتتمعن في قوله تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها..» في هذه الآية الكريمة كل كلمة على تحمل معنى بليغا.. حاول أن تتأملها بنفسك سيكون هذا أفضل بكثير مما لو فسرتها لك بنفسي.

الابن: صحيح، لقد لاحظت هذا! مع ذلك ما زلت أتساءل كيف قد يحمل الزوج زوجه على محبته؟

الأب: بطريقة بسيطة، عوض أن تبحث عما يمكنك الحصول عليه من زواجك، ابحث عما يمكنك أن تقدمه أنت.. ابحث عن بصمتك في الزواج بدل أن تلعب دور المتذمر المشتكي طوال الوقت. كلنا نرغب في الأخذ وقلة من يفكرون في العطاء، جرب أن تعطي أنت أولا، وأعط بحب، أعط بسخاء، واجعل عطاءك لله.. صدقني ستنال ما تريد وأكثر.

الابن: وما الطريقة؟

الأب: هناك طرق عديدة، ولا شيء صعب، الود ينمو بالتودد، والحب بالتحبب..

الابن: لا تقتصد بهذا الشأن، أرجوك أسهب في الشرح أكثر..

الأب: تعلُّق زوجك بك مرتبط بمدى تأثيرك الإيجابي في حياته.. حاول أن تكون له إضافةً لا يمكنه الاستغناء عنها فيما بعد.. أعطيك مثالا: تخيل لو أن رجلا يعيش وحيدا، في فوضى عارمة، وبعد زواجه صارت حياته أكثر نظاما واتزانا بفضل زوجته، وبيته أضحى أكثر مكان ينعم فيه بالراحة والهدوء.. أتصدق أن هذا الرجل قد يستغني عن زوجته؟ قد يفكر في الأمر، لكن بمجرد أن يعود لحياته السابقة حتى يدرك أنه لا يستطيع مفارقة زوجته أو العيش بدونها.. غالبية الذين يشتاقون لأيام عزوبيتهم تسوء أحوالهم بعد الزواج، وهذا مشكل، لأن الأصل في الزواج السكينة وصلاح الحال.

الابن: أظن أني جد محظوظ لسماع هذا الكلام، ليت لكل الأبناء آباء مثلك.

الأب: وليت لكل الآباء أبناء ناضجون يسمعون الكلام مثلك.

الابن: هل انتهت رحلتنا أم لازال في جعبتك المزيد؟

الأب: هذا ما حضرني الآن.. بعض الثغرات التي أغفلناها قد تسدها من البحث أو من التجربة.. وإياك أن تسلم أذنك لجاهل!

الابن: إن شاء الله.

الأب: يمكنك الآن أن تختار.

الابن: وأخيرا..

الأب: هل زلت تجد الاختيار سهلا؟

الابن: بل لا أجد أصعب منه، لكن الفرق أني الآن أعرف ما أريد بالتحديد.

الأب: ولا تنسَ صلاة الاستخارة.. فلا يعلم مواطن الخير إلا الله.

الابن: هذا أكيد.

الأب: وفقك الله لما يحبه وترضاه.

تذكير!

- في أيام زواجك الأولى، لا تعط للزوج انطباعا خاطئا عنك، كن كما ستكون بقية حياتك.

- من استعجل اللذة بالحرام، لم يبارك له الله فيها في الحلال.

- عندما تظن أنك ظفرت بزوجك إلى الأبد، تكون في طريقك لفقدانه للأبد.

- إذا كان البعض حريصا على إرضاء خليله في الحرام، فلم تهمل أنت زوجك في الحلال!؟

- كل مشكل بين الزوجين يظل صغيرا، فإذا تدخل فيه غيرهما كبر فجأة!

- لا تسأل زوجك إن كان يحبك، ولكن اجعله يحبك، أرغمه على ذلك..

- كلنا نريد أن نأخذ، جرب أن تعطي أولا، وأعط بحب وسخاء.

الجلسة الأخيرة

لا تكف عن طرح الأسئلة، فربما سؤالك الأهم لم تطرحه بعد!

الابن: ها قد أتيتك مجددا.

الأب: بشأن ماذا؟

الابن: جلساتنا، أنسيتها؟

الأب: ظننتها قد تمت يوم أمس!

الابن: لكني لم أختر بعد.. ألا تريد معرفة من اخترت؟

الأب: بكل تأكيد.. ظننت أنك ستأخذ وقتا أطول!

الابن: قبل هذا لدي سؤال أخير، إذا اتبعت كل تلك الخطوات التي حدثتني عنها بحذافيرها هل من المؤكد أني سأحظى بزوجة مثالية؟

الأب: رغم هذا قد لا تحظى بزوجة مثالية.

الابن: لماذا؟

الأب: إذا أخذت بأسباب النجاح وفشلت فاعلم أن خلف أمرك إرادة ربانية.. مهما اجتهدنا وسعينا فما توفيقنا إلا بالله، لا ننال حتى يشاء سبحانه وتعالى.

الابن: سألتك هذا السؤال لأني لاحظت أناسا طيبين يعانون في زواجهم الأمرّين.

الأب: يوجد من مثل هذا، لكنه قليل.. ولا تنس أن الدنيا ليست دار هناء، بل دار ابتلاء.. كما أن الله قد يبتليك في رزقك أو في صحتك أو في أهلك، قد يبتليك أيضا في زواجك.. يبتليك الله فيما تحب حتى لا يتعلق قلبك بمحبوب سواه.

الابن: فهمت.. إذا لا داعي للقلق؟

الأب: خذ أسباب النجاة، واعلم أن الحافظ الله.. افعل ما يُريد ليُعينك على مَا تريد.

الابن: الآن اطمأن قلبي..

الأب: وكم شاب في مثل سنك لا يزال حائرا!

الابن: معك حق.. أتدري بكم ستعود عليك هذه الجلسات من أجر إذا نشرتها؟

الأب: فاعل الخير والدال عليه سيان في الأجر.

الابن: أرجو فعلا أن تعم الفائدة الجميع.

الأب: هلا أخبرتني الآن عن العروس التي اخرتها؟

الابن: لقد اخترت الفتاة التي حدثتك عنها في أول جلسة.

الأب: هل أنت متأكد؟

الابن: نعم.

الأب: فاجأتني حقا!

الابن: هي الفتاة نفسها، لكن الاختيار الأول ليس كالثاني..

الأب: هذا هو الأهم.. هل حدثتها بهذا الشأن؟

الابن: لا أبدا.. أنت من سيكلم والدها في أقرب فرصة.

الأب: إن شاء الله.. أحسنت.. مبارك لك، نفع الله بك وبشباب المسلمين.

الابن: آمين..

تذكير!

- كما أن الله يبتليك في كافة شؤون حياتك، قد يبتليك أيضا في زواجك.
- يبتليك الله في ما تحب حتى لا يتعلق قلبك بمحبوب سواه.
- خذ أسباب النجاة، واعلم أن الحافظ الله.
- فاعل الخير والدال عليه سيان في الأجر.

بعد النهاية!

مضى على هذا النقاش أزيد من ثلاثين سنة.. لازلت أذكر أني كنت متحمسا لنشر هذا الكتاب في وقته، لكن هذا للأسف لم يحصل، ربما شغلني زواجي أو أذهلني فقد والدي أو أنسانيه الشيطان..

في الواقع لم أخرج هذا الكتاب من دهاليز الماضي إلا عندما حدثني ابني عن رغبته في الزواج، بالطريقة نفسها التي حدثت بها والدي ذات يوم.. وجدت الكتاب كما تركته منذ ثلاثين سنة مكتوبا بخط يدي، أسفت حقا على مكوثه كل هذا الوقت طي النسيان.

كان والدي رحمه الله دوما يدفعني للبحث عن حكم الله في أفعاله، وأظن أن الحكمة من تأخير نشر هذا الكتاب كانت أن أعيش تجربة ما تحدثنا بشأنه، لأحدد صحة ذلك الكلام من عدمه قبل أن أمضي في طريق نشره.

ولا أخفيكم أني الآن أكثر اقتناعا بكلام والدي من أي وقت مضى، لذلك فإني سأترك مهمة نصح ابني لهذا الكتاب..

شكرا لك يا أبي.. لقد كنت على حق، كما كنت دوما.

أظن أن أفضل وقت لنشر هذا الكتاب، هو الآن..

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات

***

سأكون سعيدا بتلقي آرائكم وملاحظاتكم.. سواء على الإيميل أو مواقع التواصل.

المؤلف